

و نبيذ فاروق

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الورقة الأخيرة

145



Looloo

www.helmelarab.net



١ - لحظات الخطر ..

« قل محاولتنا ، للاتصال بسيادة العميد (أدهم صبرى) ،
فشلت يا سيدي .. »

نطق المساعد الأول ، لمدير المخابرات العامة المصرية
العبارة ، فى توتر ملحوظ ، إلا أن مديره أوما برأسه متلهفاً ،
وهو يقول فى هدوء :

- كنت أتوقع هذا إلى حد ما .

بدت الدهشة على وجه المساعد ، وهو يغمغم :

- حقاً ؟

أشار المدير بيده ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

- وكيف يمكن أن نتوقع العكس ، فى هذه المرحلة البالغة
الدقة ، من عملية (روما) ؟

ثم اتجه نحو نافذة حجرة مكتبه ، وعقد كفيه خلف
ظهره ، وهو يتطلع عبرها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن
يتابع ، فى هدوء حازم :

- منذ تلك اللحظة ، التى تسلس فيها رجلنا (عمد رامز)

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز
إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة
نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛
هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو
يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسنن إلى
قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة
وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة
لسبغ لغات حية ، وبراعته الفارقة فى استخدام أدوات
التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ،
وحتى الفواصلات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن
(أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن
جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات
العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

إلى شقة مستشار الأمن القومي الإسرائيلي في (روما) ،
(جون روتشيلد) ؛ لينتزع منها الأوراق السرية باللغة
الخطورة ، والتي تثبت تورط الإسرائيليين ، في واقعة
الهجوم على يرجى التجارة العالميين في (نيويورك) . في
الحادي عشر من سبتمبر سنة ألفين وواحد ، والأمور مشتتة
إلى أقصى حد ممكن ..

غغم المساعدة :

- هذا صحيح ..

واصل المدير ، وكأنه لم يسمعه :

- الإسرائيليون أصابوا (عماد) ، وفقدوا به ، واستعملوا
أوراقهم السرية ، ولكنهم كشفوا أنه قد التقط صورها ، بآلة
تصوير رقمية إلكترونية ، عثروا عليها في جعبته ، ولكن
دون بطاقتها الخاصة بتخزين الصور ، وعلى الرغم من
بحثهم المضني الطويل ، وعدم عثورهم عليها ، إلا أنهم
واثقون من وجودها في مكان ما ، مما يدفعهم للبحث عنها
على نحو محموم ، قبل أن نحصل نحن عليها ..

أراد المساعد أن يلقي تعليقاً قصيراً ، معطياً أن المخابرات
العصرية أيضاً لم تعرّ على تلك البطاقة الرقمية الإلكترونية ،

التي تحوى صور الوثائق الإسرائيلية ، إلا أنه لم يكذ يفتح
شفتيه ، حتى انتبه إلى أن مديره لا يتحدث إليه فعلياً ، وإنما
يراجع الأحداث كلها بصوت مسموع ؛ لذا فقد أطبق شفتيه ،
وترك مديره يواصل ، قائلاً :

- لهذا أرسلنا المقدم (منى) إلى (روما) ؛ لتتولى العملية
رسمياً ، مع رجالنا هناك ، خاصة وأن الإسرائيليين قد أرسلوا
أخطر رجالهم على الإطلاق .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، مضيقاً :

- (دوريل) .. (شيمون دوريل) .

أزدد المساعدة لعابه ، وغغم في انفعال :

- من حسن حظنا إذن أن سيادة السيد (أدهم) هناك أيضاً
ياسيدى .

وافق المدير بإيماءة من رأسه ، قائلاً بالإنجليزية هادئة :

- (ن - ١) ليس هناك فحسب ، ولكنه داخل السفارة
الإسرائيلية أيضاً ، بين رجالها ومسؤوليها ..

واقصت إبتسامته ، مع استطرادته :

- ولا أظن رجل مخابرات آخر ، في العالم كله ، يمكن أن
يعمل ، بهذه الجرأة المدهشة ، والبراعة اللامحدودة .

قال المساعد في حذر :

- ألا يمكن أن يتكشف أمره هناك يا سيدي ؟

صمت المدير بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- أظن هذا أمرًا حتميًا .

ثم استترك في سرعة ، وهو يرفع سبائته أمام وجهه :

- ولست أظن هذا يقلقه .

هتف المساعد مبهورًا :

- حقًا ؟ ألا يقلقه أن يتكشف أمره ، في قلب السفارة

الإسرائيلية هناك .. في (روما) ؟

عاد المدير يتنسم ، وهو يقول :

- لو أنك تعرف (ن - ١) كما أعرفه ، لأثرت أن كل ما يقلقه

دومًا هو نجاحه في مهمته .

وتألفت عينا ، وهو يضيف بلهجة خاصة :

- من أجل (مصر) .

شعر المساعد بالحلمنة تسرى في كيانه ، مع عبارة المدير

الأخيرة ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يقول في حزم :

- ولكن رسالة سيادة العميد (أدوم) الأخيرة ، تقول : إن

رجل الموساد الشرس (شيمون دوريل) ، قد وضع خطة

شيطانية رهيبية ، لالقع زميلنا (عماد) إلى الإفصاح عن

الموقع السري ، الذي أخفى فيه بطاقة التصوير الرقمية ،

وذلك من خلال إقناعه ، عندما يستعيد وعيه ، بأنه قد عاد

بالفعل إلى (مصر) ، وأصبح آمنًا تحت علمها .

اتعقد حاجبا المدير ، وهو يغتم :

- فكرة شيطانية بحق .

قال المساعد في سرعة :

- ليس هذا فحسب يا سيدي ، ولكنها مقنعة جدًا أيضًا ،

وقادرة على خداع (عماد) ، لو تم تنفيذها بالبراعة

اللزمة .

تتهدد المدير في عرق ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، وهو

يتطلع مرة أخرى عبر نافذة حجرة مكتبه ، ثم لم يلبث أن قال :

- عزائنا الوحيد هو أن (أدوم) بالداخل .

قال المساعد بنفس السرعة :

- ولكن (منى) و (أشرف) بالخارج يا سيدي ، والمراقبون

يؤكدون أن الإسرائيليين قد كشفوا أمرهما أيضًا .

وإزداد انعقاد حاجتي المدير بشدة ..

فهذا يعني أن الموقف قد تعقد أكثر وأكثر ..

والواقع أن مالم يعلمه المدير ، في تلك اللحظة ، هو أن الأمور قد بلغت بالفعل مرحلة بالغة الدقة والخطورة ..

فـ (أشرف) و (منى) يواجهان قوهات مسدسات ثلاثة من رجال أمن السفارة الإسرائيلية ، في قلب (روما) ، في نفس اللحظة التي يهيم فيها (عماد) بإعلان مخبأ البطاقة الرقمية ، على مسامع (شيمون) ، في قبو السفارة نفسها ..

ومن الناحية النظرية ، كان هذا يعني أن النصر سيحقق للإسرائيليين ، في هذه العملية .

النصر الكامل (١٥) ..

كل العوامل ، في قبو السفارة الإسرائيلية في (روما) ، كانت تؤكد أن الإسرائيليين قد اقتصروا بالفعل ، في هذه العملية المعقدة ..

كل العوامل ..

بلا استثناء ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الفصلين الأول والثاني : (الأورق المشغولة) و (المتطرفون) - شطراطين رقمي (١١٣) و (١١٤)

(عماد) استعد وعيه بصعوبة ، وكل شيء من حوله يوحى بأنه قد عاد إلى (مصر) ، والمنطق والعقل يؤكدان حتمية أن يخبر المصريين بمخبأ بطاقة التصوير الرقمية ..

ثم إنه من المستحيل أن تخطر بباله تلك الخدعة ، التي قام بها (شيمون) !!

من المستحيل تماماً ..

لذا فقد التفت (عماد) نفساً عتيقاً ، وهو يرقد على فراش المرض ، محاولاً استعادة سيطرته على عقله وحواسه ، واستجلاب صفاء ذهنه المعثت ، وأدور عينيه مرة أخرى في المكان ، الذي تم إعداده بعهارة مذهشة ، ليندو أشبه بحجرة غذائية مركزة ، في قلب (القاهرة) ، قبل أن يستقر بصره على وجه (شيمون) ، الذي قدم له نفسه باسم (عبد الرحمن) ، ملتجئاً شخصياً من رئاسة الجمهورية ..

وبمجهود فوق طاقة البشر ، تتم (شيمون) تفعله في أصغره ، ورسم على شفاهه ابتسامة هافتة ، وهو يقول :

- أنت تعلم بالطبع ضرورة أن نتوصل إلى تلك البطاقة الرقمية ، قبل أن يظفر بها العدو .. أليس كذلك ؟

لوما (عماد) برأيه إيجابياً ، متمسكاً في تهالك :

- بالتأكيد .

مال (شيمون) نحوه ، وهو يسأله في لهفة ، لم يستطع كتمتها :

- أين هي إذن ؟ أين أخفيتها ؟

بدت ابتسامة شاحبة ، على وجه (عماد) ، وهو يشير بسبائته ، قائلاً :

- في مكان لن يخطر ببالهم أبداً .

كاد (شيمون) يصرخ ، من فرط الלהفة ، وهو يكرر :

- أين هي ؟ أين ؟

انفجرت شققتا (عماد) ، وأسبل جفنيه ، وهم يلجأ إلى السؤل ..

وخفق قلب (شيمون) في عصف ..

خلق حتى كاد صلصبه يشب من مكته ، وجسده كله ينتفض ، و ..

« لحظة يا سيدي .. »

انطلقت العبارة فجأة ، بصوت (دافيد دونهام) ، مسئول أمن السفارة . وبلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة ، وفقاً لتعليمات (شيمون) ، الذي احتقن وجهه في شدة ، وهو يلتفت إليه في غضب هادر ، قائلاً :

- ليس الآن يا رجل .. ليس الآن .

ولكن (دونهام) أنجاب ، في شيء من التوتر :

- الأمر لا يحتمل التأجيل لحظة واحدة ، يا سيدي .. يا سيدي (عبد الرحمن) .

ازداد احتقان وجه (شيمون) ، من فرط غضبه لهذه المقاطعة ، التي انتهت الموقف ، في أسوأ توقيت على الإطلاق ، وتمنى في أعماقه لو سحب مسدسه في هذه اللحظة ، ونسف به رأس (دونهام) ، إلا أنه استغفر كل إرادته ، ليتظاهر بالهدوء ، وهو يتجه نحوه ، قائلاً في حزم :

- أتعلم أن يستحق الأمر هذا .

غمغم (دونهام) :

- إنه يستحق .

كنا يتبادلان الحديث بمصرية خالصة ، وعلى نحو يمكن أن يتفق مع المظاهرات الزائفة للموقف كله ، لذا فقد استرخى (عماد) في فراشه ، واكتفى بمتابعتها ببصره في هدوء ، في حين مال (دونهام) على أن (شيمون) ، وهمس بالعبرية ، في توتر شديد :

- زميلة (أدهم صبرى) ورفيقها هنا ..

اتعقد حاجبا (شيمون) في شدة ، وهو يهمس بدوره :

- هنا ١٢ -

أجابه (دونهام) عينا في سرعة :

- طلق الأمن رصدهما يراقبان السفارة من الخارج ،
وخرج ثلاثة من رجال أمننا للتخلص منهما ، لولا أن أدركت
الموقف في اللحظة المناسبة ، فأمرت رجالنا بعدم إطلاق
النار ، وطلبت منهم إحضارهما إلى الداخل .

لحقن وجه (شيمون) مرة أخرى ، وهو يهمس في حدة :

- إحضارهما إلى داخل السفارة ١٢ ؟ هل جئت يا هذا ١٢ ؟
هل رأيت أنه من الحكمة أن تجمعهما بـ (أدهم) ، الذي لم نعر
عليه بعد ١٢ ؟

أجابه (دونهام) ، في همس حذر صرامة :

- بل رأيت أن وجودهما في قبضتنا سيجعل منهما سلاحا
في مواجهته ، عندما تحين اللحظة المناسبة .

رسقه (شيمون) بنظرة غاضبة صارمة ، قبل أن يقول بصوت
مسموع ، وقد استعاد لحنه العربية ، ولهجته المصرية :

- فليكن .. سنناقش هذا فيما بعد .

اعتدل (دونهام) ، وقال بدوره :

- بالتأكيد يا سيد (عبد الرحمن) .. بالتأكيد .

كان هسهما من الخفوت ، بحيث يستحيل أن يسمعه (عماد) ،
لذا فقد التفت إليه (شيمون) ، وقال ، وهو يرسم على
شفتيه ابتسامة باهتة :

- أنت تعرف مشكلات عملنا بالطبع .

تمتم (عماد) في خفوت :

- بالطبع .

أتجه (شيمون) نحوه ، وجلس على طرف فراشه ،
ودس أكبر قدر ممكن من الموضة والهدوء في صوته
ولهجته ، وهو يقول :

- والآن يا بطل ، فلنعد إلى موضوعنا .. أين أخفيت البطاقة ١٢ ؟

تطلع إليه (عماد) يضع لحظات في صمته ، وعاد يدير
بصره في المكان ، على نحو استقلّ مشاعر (شيمون) ،
إلا أنه حافظ على منمكة كجبل من الثلج القاسي ، وهو
يقول بنفس الصوت والهجته :

- أين يا بطل ١٢ ؟

أدار (عماد) عينيه إليه هذه المرة ، ثم سأله فجأة :

- لماذا أرسلوك ؟

كان السؤال مباغتاً بحق ، حتى إن (شيمون) تراجع بحركة حادة ، وكانت تفلت منه كلمة دهشة عيرية ، لولا أن استوقفها في اللحظة الأخيرة ، قائلاً بلهجته المصرية :

- ماذا تعنى ؟

حاول (عماد) أن يعتدل ، على الرغم من الآلام المنتشرة في جسده ، وهو يقول في حزم :

- أعنى لماذا أرسلوا مندوباً من رئاسة الجمهورية ؟
لماذا ليس أحد رجال المخابرات ؟

لم يشعر (شيمون) بالارتياح للسؤال ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، حافظ على هدوئه وتماسكه كمحترف ، وهو يتنسم ، قائلاً :

- كلانا يعلم أنه لا يحق لى حتى إلقاء السؤال .. إنها القاعدة الذهبية الأساسية يا بطل .. المعرفة بقدر الحاجة .. لا أحد يعرف أكثر مما تحتاج إليه مهمته فحسب .. أليس كذلك ؟

أجاب (عماد) في هدوء :

- بالتأكيد .

ثم استدرك في حزم :

- ولكن هذا لا يمنع حصولك على كل المعلومات ، اللازمة للقيام بمهمتك .. أعنى المعلومات الأساسية .

أجاب (شيمون) في سرعة :

- بالطبع .

عاد (عماد) يسترخى على فراشه ، قائلاً بابتسامة ، لم ترق أيذا لرجل (الموساد) :

- كل المعلومات الأساسية .

بدأ التوتر يسرى في أعصاب (شيمون) ، على الرغم من برودة الشهير ، مما جعل لمحة منه تتسلسل إلى صوته ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

اتسعت ابتسامة (عماد) ، وهو يقول مسبلاً جفينة :

- عظيم .

تلك الكلمة الأخيرة حوكت توتر (شيمون) إلى انزعاج غاضب ، وفجرت ألف سؤال وسؤال في أعماقه ..

ماذا هناك بالضبط ؟

ما الذى يرمى إليه رجل المخابرات المصرى ؟

ما هدفه من إلقاء كل هذه الأسئلة ؟

ماذا يريد ؟

ماذا ؟

ماذا ؟

ولأنه رجل مغايرات محترفا ، أدرك في أعماقه أن ما يفعله المصري هو مناورة !

مناورة لكشف أى خداع يحيط به ..

أو أية خدعة تحاك حوله ..

لذا فمن الضروري أن يلتزم هو الحذر ..

كل الحذر ..

والا ..

« إلى من أرسلوك بالضبط ؟ » ..

القي (عماد) السؤال في هدوء ، لم يخل من نبرة صارمة حازمة ، جعلت (شيمون) ينهض واقفاً ، ويتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

- اسمع يا هذا .. أنا هنا في مهمة محدودة ، و ...

قاطعه (عماد) فجأة ، متسائلاً :

- ما اسمي بالضبط ؟

كان السؤال مباغتاً بحق ، حتى إن (شيمون) قد شعر بموجة من الغضب والتوتر تتفجر في أعماقه ، وهو يكرر في دهشة :

- اسمك ؟

أجابه (عماد) في سرعة وحسم :

- نعم .. اسمي أنا .. اسم الرجل الذى أرسلوا إليه مندوباً من رئاسة الجمهورية شخصياً ؟! ألم يخبروك باسمي ؟!

تضاعف الغضب في أعماق (شيمون) ، وهو يقول :

- أنت تعلم أنهم لا يخبروننا أبداً بالأسماء الحقيقية ، فى مثل هذه الـ ...

قاطعه (عماد) مرة أخرى ، قائلاً فى حزم :

- على الأقل سيخبرونك باسم كودى .. هكذا تحتم القواعد .. فعلى الأقل هناك اسم ما ، مدون على تذكرتى الطبية هنا .. أليس كذلك ؟!

كانت ابتسامة (عماد) هذه المرة تحصل معنى واحداً ، لا يقبل الجدل ..

معنى قلز بغضب (شيمون) ، إلى الذروة ، وجعله يلوح
بالصمت التام لدقيقة كاملة ، اتسعت خلالها ابتسامة (عماد) ،
وحملت قدراً من السخرية ، وهو يقول :

- هناك اسم ما .. ليس كذلك يا ياسيد (عبدالرحمن) ؟

رمقه (شيمون) بنظرة مقت ، لم يحاول حجبها أو إخفاءها
هذه المرة ..

ومن أصق أصقه ، تصاعدت حمم غضب وثورة يلاخود ..

تصاعدت حتى بلغت جمجمته ، وفجرت كل مشاعره ، و ...

« فليكن .. »

نطق (شيمون) الكلمة بالعبرية هذه المرة ، قبل أن يسحب
مسدسه بحركة حادة سريعة ، ويصاق فوقه بصدغ (عماد) ،
مكتملاً بكل غضب الدنيا :

- من الواضح أنك قد كشفت اللعبة بوسيلة ما .

اتسعت ابتسامة (عماد) أكثر ، وهو يقول :

- أعترف أنها كانت لعبة متقنة إلى أقصى حد .

قال (شيمون) في غضب :

- هذا صحيح .

ثم ضاقت عيناه ، واستعاد صوته تلك البرودة الثلجية ،
وهو يستطرد :

- مما يدفعني إلى التساؤل ، عن كيفية كشفك للأمر .

هز (عماد) كتفيه ، قائلاً في سخرية :

- سأترك هذا لخيالك .

اتعقد حاجباً (شيمون) في غضب ، وهو يهتف في حدة :

- فليكن .. دعنا نبدأ بهذا .

فأثاها ، وهوى على رأس (عماد) بمسدسه ، فقتلض جسد
هذا الأخير في قوة ، وهوى فاقد الوعي مرة أخرى ، مما جعل
أحد الأطباء يندفع داخل الحجرة ، هاتفاً :

- لماذا يا أدون (دوريل) ؟ لماذا ؟

استدار إليه (شيمون) ، قائلاً في حدة ، وهو يصوب
مسدسه إليه ؟

- هل كنت تراقبنا يا هذا .

اتلفض الطبيب الإمبرالي في رعب ، واختلق لسانه في
خلفه ، فاندفع زميله يهتف في قوت :
- كلنا كنا نراقب ما يحدث ياسيد (شيمون) ، عبر الزجاج
مزدوج الانعكاس ، من الحجرة الأخرى ، كما أمرتنا تماماً .

احتقن وجهه (شيمون) بشدة هذه المرة، ولام نفسه ألف مرة في أصغاه، على انتفاعه وتسرع، واستسلامه لاتفعا لجه، على نفس النحو الذي تتقد فيه (جراهم) ألم الجميع، فالتقط نفساً عميقاً، في محاولة للسيطرة على توتره، ولائاً بالصمت لدقيقة كاملة، بذل خلالها جهداً خرافياً، ليستعيد هدوء نفسه، وبروده الأسطوري الشهير، قبل أن يشد قامته، قفلاً في صرامة:

- من الواضح أنه قد كشف الأمر بوسيلة ما.

برز (دونهام) من خلف الأطباء، وهو يقول في حيرة:

- ولكن كيف؟! لقد راجعت الإجراءات كلها بنفسى مرتين، ولا توجد لمحة واحدة هنا، يمكن أن تكشف الأمر.

أجابه (شيمون) في صرامة:

- هناك شيء ما حتماً.. شيء لم نلقه إليه، ولكنه أقرعه على نحو ما.. أنت تعلم أنه لا يوجد نظام أمنى كامل.. هناك حتماً ثغرة ما.

أشار (دونهام) بيده، قاتلاً:

- ولماذا تبذل كل هذا الجهد؟! لماذا لانحقه بمصل الحقيقة؟! (بنثوثال الصوديوم) .. ربما كانت وسيلة قديمة، ولكنها مازالت فعالة، خاصة وأنه لم يتناول حتماً أى عقار مضاد!

عز (شيمون) رأسه نفياً، وهو يقول:

- لن يصلح، في حالته هذه.

هتف (دونهام):

- ولم لا؟!!

أجابه رئيس فريق الأطباء في توتر:

- في حالته الصحية هذه قد يقتله (بنثوثال الصوديوم) ولكنه لن يدفعه إلى قول أية حقائق.

عاد (دونهام) يهتف:

- ولماذا لا...

قبل أن يتم تساؤله، قاطعه (شيمون) في صرامة:

- كف عن التفكير يا (دافيد) .. إنك تقصد كل الأمور.

ترجع (دونهام)، هاتفاً في انزعاج:

- أنا!؟

لوح (شيمون) بسبائته في وجهه بغضب، قاتلاً:

- نعم.. أنت يا (دونهام) .. إلقاؤك القبض على زميلة

(أدهم صبرى) وزفيقها، دون مبرر حتى، كان يكفى وحده!

لأفسف رأسك بلا رحمة، أما إحضارهما إلى داخل السفارة ف...

قبل أن يتم قوله ، ارتفع فجأة رنين مميز ، من هاتفه المحمول .
معلنًا استقبله رسالة قصيرة ، فلتفت وجهه ، وهو يقول في غضب :
- لو أنها ما أتوقَّعه قد ...

لم يتم هو قوله هذه المرة ، وكأنما لم يجد داعيًا لهذا ،
وهو يلتفت هاتفه المحمول من جيبيه ، ويضيق أثراره في
سرعة ، لقراءة تلك الرسالة القصيرة ، التي لم تحمل رقم
الهاتف الذي أرسلها ، مما ضاعف من غضبه ، قبل حتى
أن يقرأ كلماتها الساخرة المقتضية :

- حظ أفضل ، في الجولة القادمة .. (أ . ص) .

وبحركة سريعة غاضبة ، أغلق (شيمون) هاتفه ،
والتفت في جيبيه ، و (دونهام) يسأله في توتر :

- أهو من أتوقَّعه ؟

أجاب (شيمون) في صرامة ، وهو يتلفت حوله :
- إنه يسخر منا .

ثم التفت حاجباه بشدة ، مع استطراده الغاضبة :
- من داخلنا .

غضب (دونهام) في عصبية :

- ذلك لا ...

قاطعه (شيمون) في حدة :

- ذلك الذي قُبلت في الثور عليه ، داخل جدران السفارة ،
التي ترأس طاقم أمنها .

قال (دونهام) بنفس العصبية :

- سأعيد استجواب الجميع ، وسـ ...

قاطعه (شيمون) هذه المرة ، في صرامة قاسية :

- سأتولى أنا الأمر هذه المرة .

بدا وكأن الأمر لم يفاجئ (دونهام) تمامًا ، وهو يقول :

- أنت يا أدون (دوريل) .

أشار (شيمون) بسبابته ، قليلًا :

- نعم .. أنا يا (دافيد دونهام) .

وبدا وكأن عينيه قد ازدادت ضيقًا ، وهو يضيف :

- وسأثبت للمصريين هذه المرة أننا الأكثر قوة ومهارة ،

في عالمنا هذا .. لكل المصريين ، ولرجلهم (آدم صبرى)
بالتحديد .

ولم يطق (دونهم) هذه المرة أيضاً ، ولكنه تطلع إلى
(شيمون) طويلاً ، وقد أدرك من اللهجة الوحشية الشرسة
القاسية ، التي تطلق بها عبارته الأخيرة ، أن الجولة القادمة
من الصراع ستكون رهيبة ..
رهيبة بحق .



٢ - القسوة ..

على الرغم من دقة الموقف ، داخل السفارة الإسرائيلية
في (روما) ، ومن فوهات المدافع الآلية ، المصوِّبة إلى
رأسيهما ، لم يمالك (أشرف) نفسه ، وهو يتطلع إلى
(منى) في إعجاب ، لئلا يمسكها وقوتها ، وهي تقول لرجل
أمن السفارة في صرامة مدهشة :

- ما فعلتموه يتجاوز كل القوانين والأعراف يا هذا .. إننا
صحفيان من جريدة (هيرالد تريبيون) ، وليس من حقكم
مطارئتنا خارج السفارة ، وإلقاء القبض علينا على هذا
التحو المستفز ، على أرض تخضع للسيادة الإيطالية .

زمر رجل الأمن الإسرائيلي ، وقال وهو يصوب مدفعه
إلى رأسها في صرامة :

- نحن لا نشغل أنفسنا بتلك التعقيدات الدبلوماسية ..
هناك محترفون يتولون أمورنا .

أجابته في حدة صرامة :

- وماذا عن الصحافة ؟؟ إننا سننشر كل ما فعلتموه ، و ...

قاطعها صوت قاس كالفلواذ ، يقول في صرامة :

- هراء -

استدارت مع (أشرف) إلى مصدر الصوت ، وما إن وقع بصرها على صاحبه ، حتى اتفقت حاجباها في شدة ، وذهنها يستعيد كل ما قرأته عنه ، في الملفات الخاصة بـ (شيمون) في المخبرات المصرية ، في حين تقدم (شيمون) داخل الحجرة ، وهو يتابع بنفس الصرامة القاسية :

- منظومتنا تقول : إنك مصرية الجنسية ، وتعملين في صفوف المخبرات العامة هناك .

حافظت (أشرف) على جمود ملامحه ، وهو يتطلع إليه في هدوء ، في حين قالت (منى) ، في صرامة لم تفارقها ، على الرغم من المقاجة :

- أي قول هذا ؟؟

أجابها (شيمون) ، وهو يجلس على أقرب مقعد إليه ، ويضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، ثم يشبك أصابع كفيه أمام وجهه في بروء :

- القول الحق أيتها المقدم (منى توفيق) .. لقد قرأت ملفك كله ، ومن الهراء أن تضيع الوقت في محاولات إتكال عبثية .

عشت (منى) ساعديها ألم صدرها ، وهي تقول في صرامة ، تحمل لمحة ساخرة :

- بالضغط .. من العبث أن أنكر هويتي الحقيقية ، لو أن أنكر تعرفني إليك فور دخولك ، يا ميجور (شيمون دوريل) ، يا رجل (الموسلا) القاسي ، الذي كانوا يلقبونه قديماً بجبل الثلج ، قبل أن تشرف بنفسك على الإجراءات الانتقامية في معسكر (جنين) الذي أذل أبطالنا ناصيتكم ، ولجبروكم على الانسحاب ، وطلب وقف إطلاق النار ، قبل أن تنفذ ذخيرتهم عن آخرها ، ويضطرون للاستسلام ، حفاظاً على أرواح عائلاتهم (*) ..

ضمغم (شيمون) في يده :

- لقد انتصرنا عليهم في النهاية ، وهذا هو المهم .

قالت في سخرية :

- هل تؤمنون حقاً ، بأن ما فعلتموه هناك ، يعد انتصاراً ؟؟

أجابها في صرامة :

- بالطبع .. الانتصار هو أن تظهر بخصمك في النهاية .

(*) واقعة حقيقية ، حدثت عام ١٩٤٦ م ، سعى الانتداب الإسرائيلي فوحش لمخيم جنين ، وعدة أسكن أخرى في (فلسطين) ، دون وازع من ضمير أو احترام للقوانين والأعراف والسعادات الدولية .

قالت في سرعة :

- هذا يتوقف على مفهوم كلمة (النهاية) .

انعدت حاجباً في شدة ، قبل أن يقول في حدة :

- هل تتصورين أنه باستطاعتك توريطي ، في مناقشة فلسفية كهذه .

قالت بنفس السرعة :

- كلا بالطبع .

ثم استدركت بابتسامة ساخرة :

- المناقشات الفلسفية تحتاج إلى عقول مفكرة .

احتقن وجهه ، عندما أدرك ما تعنيه ، وهباً من مقعده ، قائلاً في حدة :

- فليكن أيتها المتحذقة .

ابتسم (أشرف) ، مع الانفعال الذي أصاب (شيمون) ، وغصم في هدوء عجيب :

- يبدو أنك قد أذيت جبل الجليد بآسيادة المقدم .

أراد (شيمون) بصره إليه بحركة حدة ، قبل أن يقول في صرامة :

- ومن هذا بالضبط ؟!

هز (أشرف) كتفيه ، قائلاً :

- هل ستؤذي مشاعري ، بقولك إنه ليس لديك ملف أعني ؟!

صوته ولهجته ، والأسلوب الذي نطق به كلمته ، جعل قلب (منى) يخفق بين ضلوعها في قوة ، في حين انعقد حاجبها (شيمون) بشدة ، وهو يتطلع إليه ملياً ، قبل أن يلتقط جهاز الاتصال المحدود من حزامه ، ويضغط زرّه ، قائلاً :

- (مولهم) .. لا داعي ليزل الكثير من الجهد .. اعتقد أنني قد عثرت على (أدهم صبرى) بالفعل .

وخفق قلب (منى) بين ضلوعها مرة أخرى ..

وبمئنتهى الضف ..

ارتسمت ابتسامة هائلة تملأ ، على شفقي (لورا كيلرمان) ، عميلة منظمة (X) الجاسوسية الإجرامية ، وهي تغادر مطار (روما) ، وتوقفت لحظة عند المخرج ، لتلتقط نفساً عميقاً من الهواء البارد ، مغفمة :

- كم أحشق (إيطاليا) ، في هذا الوقت من العام .

لم تكن تتم عزوتها ، حتى سمعت في جوارها صوتاً يقول في لطم : -

- سيّدة (كيلرمان) .. حمداً لله على سلامتك ، ومرحباً بك في (روما) .

استدارت إليه (لورا) في هدوء شديد ، وابتسمت قائلة :

- أظنك (ألبرتو) .. ليس كذلك ؟

التقط (ألبرتو) حقيبتها الوحيدة الأنيقة ، وهو يقول
بابتسامة كبيرة :

- يلي يا سيدي .. مرحباً بك .. لقد أعدنا كل اللزم لاستقبالك هنا .
خففت في هدوء واثق :

- عظيم .

قادها إلى سيارة بيضاء أنيقة ، والحنى في احترام شديد ،
وهو يفتح لها بابها الخلفي ، ويكرّر على نحو ممل :

- مرحباً بك .

دفعت إلى السيارة في أنيقة . وخلعت فقاتريها الحريريّين
في هدوء ، وهي تقول :

- هل اعتدتم الترحيب بكل من يصل إليكم ، على هذا
النحو ؟

ابتسم (ألبرتو) ، وهو يذلف إلى جوارها ، ويشير إلى
السائق بالانطلاق ، قائلاً :

- كلاً بالطبع يا سيّدة (كيلرمان) . ولكن مستر (X)
أمر بمعاملة خاصة لك .

تطلّعت إليه لحظة في صمت ، قبل أن تقول بلهجة عجيبة ،
حملت رنة سخرية ، لم ترق له أبداً :

- معاملة خاصة ؟ يا له من مصطلح !

رئد في حذر ، لم يدر له سبباً واضحاً :

- نعم يا سيدي .. معاملة خاصة جداً ..

سألته فجأة :

- من أي نوع ؟

نطقها على نحو تضاعفت فيه رنة السخرية ، فلجلب بحذر أكثر :

- من النوع الممتاز يا سيدي ..

انتقلت السخرية إلى شفتيها وعينيها ، وهي تقول :

- عظيم .. عظيم .

ثم استرخت تملأ في مقعدها ، وتطلّعت عبر قنادلة ، مستغرقة :

- جميلة هي (روما) .

غمغم في توتر مكتوم :

- بالتأكيد .

انطلقت بهما السيارة . وقد شملتهما صمت عجيب ، يوحى
بان كليهما غارق في تفكير عميق . قبل أن تقطع (لورا)
جبل الصمت هذا ، قتلته في هدوء شديد .. ربما أشد
مما ينبغي :

- هل سألتهم خارج (روما) ؟

اعتدل (ألبرتو) في مقعده ، قائلاً في توتر :

- خارج (روما) ؟

أومأت برأسها ، قاتلة :

- بالتأكيد ، فوفقاً لمعلوماتي ، السيارة تتجاوز الآن حدود
المدينة ، وتتطلق في طريق (نابولي) .

اتعقد حاجباه ، وهو يقول في توتر :

- من الواضح لك تعرفين (روما) جيداً ياسيدة (كيلرمان) .

قالت بابتسامة هادئة :

- أكنت تتوقع غير هذا ؟

صمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب في حزم :

- كلا .

ثم أشار بيده إلى السائق ، فالتحرف بالسيارة إلى طريق
جقبى ، على نحو جعل (لورا) تتساءل ، كون أن يفارقها هدوءها :

- إتنا خارج الطريق الرئيسى الآن .. أليس كذلك ؟

أجابها (ألبرتو) ، في حزم أكثر :

- هذا صحيح ياسيئتى .. فكما أخبرتك من قبل ، مستر (X)
أمر لك بمعاملة خاصة جداً .

قالت في حزم معائل ، وهي ترمقه بنظرة صارمة :

- وأنا سألتك من أى نوع .

سحب مئذنه من حزامه ، بحركة مفاجئة سريعة ، وهو
يقول في شراسة :

- هذا النوع .

ومع قوله ، ضغط السائق فرامل السيارة في قوة ..

ودوت الرصاصة ..

القاتلة ..

فجأة ، انطلقت ضحكة مجلجلة ، في تلك الحجرة ، داخل
السفارة الإسرائيلية في (روما) ، والتي يحتجز فيها رجال
الأمن (ملى) و(أشوف) ..

وفي دهشة ، حثق الجميع في صاحب الضحكة ، وعلى
رأسهم (منى) ..

فأضحكة أطلقها (أشرف) نفسه ، على نحو مستفز ، جعل
(شيمون) يقول في صرامة شديدة :

- لن يفلح هذا يا سيّد (أدهم) .

أجابته (أشرف) في سخرية :

- ما قلته هو نفسه سبب ضحكى يا سيّد (شيمون) .

هتف به (شيمون) :

- هل تعتقد أنك ستضعنى إلى قائمة المخدوعين ، بهذا
الأسلوب الساذج ؟!

قال (أشرف) نحوه ، قائلاً بنفس السخرية :

- إذن فأنت تعتقد بالفعل أننى سيادة العميد (أدهم) ؟!

قال (شيمون) في سرعة وحزم :

- دون أدنى شك .

اعتقد حاجباً (منى) في توتر ، عندما انطلقت ضحكة
أخرى ساخرة ، من بين شفتى (أشرف) ، وهو يقول :

- ألا تعتقد أن هذا يكفى للضحك ؟!

احتقن وجه (شيمون) ، وهو يندفع نحوه ، قائلاً :

- كلا .

قلها ، وهو ينفض على (أشرف) ، ويجذب شعره في قوة ،
جعلت (أشرف) يهتف ، في سخرية ، لم تخفها رنة الأتم :

- رويدك يا هذا .. لن يمكنك أن تتزع شيئاً عن وجهى .

واستعد ابتسامته ، مضيقاً :

- لأن كل ما تراء أمامك هو وجهى الحقيقي .

ازداد اعتقاد حاجبى (منى) ، وهى تغتمم :

- لست هو ؟!

التفت إليها (أشرف) ، قائلاً :

- بالطبع يا سيادة المقّم .. إنه لفخرى ، سأحمله ما حييت ،

أنك تصوّرت أننى سيادة العميد (أدهم) ، ولكننى لست هو
في الواقع ، ولم تكن هو أبداً .

تراجع (شيمون) ، وهو يحدق فيه باستنكار غاضب ،
قيل أن يهتف :

- أين (أدهم) إذن ؟! من هو ؟!

بدت حيرة صليقة في عيني (منى) ، في حين عاد (أشرف)
يبتسم في سخرية ، وهو يقول :

- صديقتي .. أنا أكثر شوقاً منك ، لمعرفة جواب هذا السؤال -
اتسعت عينا (شيمون) لحظة ، عن آخرهما ، قبل أن
ينطلق السؤال في عقله ملتهباً ...

كيف وقع في هذا الخطأ الساذج ؟

كيف ؟

كيف ؟

كيف جرفته متاعره ، بعيداً عن كل قواعد العقل والمنطق ؟
(أدهم) داخل السفارة ، قبل حتى أن يحضر (لوتهايم)
زميلته ورفيقها !

وهذا يعني استحالة أن يكون هو نفسه رفيقها ..

أمر أبسط من أن يخطئ فيه محترف مثله !

فيها للعار !

ولكن ليس هذا وقت الشعور بالأسف والأسى ، فمزال
الخطر داخل أسوار السفارة ، ومزال السؤال ذاته يطرح نفسه
في إلحاح مستفز ..



قالها ، وهو يلتفت على (أشرف) ، ويجذب شعره في قوة .
جعلت (أشرف) يهتف ، في سخرية

من هو (أدهم) إذن ؟

من ؟

من ؟

وقيل أن يتطور السؤال في رأسه ، أو يطرح نفسه على لسانه ، تدفع أحد رجال أمن السفارة إلى الحجرة ، هاتفاً ، وهو يلهث في التفعال :

- أنون (دوريل) .. لن يمكنك أن تتصور ما يحدث .

وبحركة حادة ، استدأ إليه (شيمون) ، قائلًا :

- وماذا يحدث ؟

اتجه الرجل نحو التافذة المانعة للصوت ، وفتحها بحركة عصبية ، هاتفاً :

- انظر بنفسك .

ومع الضجيج والضوضاء ، للذين عبروا التافذة المفتوحة ، تدفع (شيمون) إليها ، والتقى حاجبها بمنتهى الشدة ..

فما رأه أمامه كان مفاجئاً وعجيباً !!

إلى أقصى حد !

* * *

٤٠

« الأمريكيون حلوا شفرة اتصالنا ... »

نطق المقيم (سمير) ، رجل المخابرات المصري في (روما) العبارة ، وهو يجلس أمام الكمبيوتر ، قبل أن يستدير إلى زميله الرائد (ممدوح) ، مستطردًا :

- الآن سيعرفون ما يسعى إليه سيادة العميد (أدهم) .

ألقى (ممدوح) نظرة على ساعته ، قائلًا :

- لو أن الأمور تسير على ما يرام ، فهذا يعني أن سيادة العميد يضع اللامسات الأخيرة على خطته الآن .

ثم أشار بسبائته ، مستطردًا في حزم :

- ويعني أيضًا أنه من الضروري أن أتحرك فورًا .

هتف (سمير) :

- وماذا تنتظر إذن بالله عليك ؟

تدفع (ممدوح) بفكر المكان ، ووثب لدخل سيارته ، وتطلق بها على الفور ، وهو يغمغم في توتر :

- رياه أكل شيء يسير وفقًا للخطة ، وعلى الرغم من هذا ، كل ذرة في كيالي تشعر بالتوتر والقلق .

٤١

قالها ، وهز رأسه في قوة ، وهو يواصل الانطلاق بالسيرة نحو الهدف ، الذي حذره (أدهم) مسبقاً ..

وفي نفس اللحظة ، كانت أصابع (سمير) تتقاذف على أزرار الكمبيوتر ، وهو يرسل آخر المعلومات إلى القيادة في (القاهرة) ، عبر قناة اتترنت جديدة مؤمنة ، و ..

وفجأة ، التفتت أثناء ما تبثه القناة الإخبارية الإيطالية ، فتجمعت أصابعه على أزرار الكمبيوتر ، قبل أن يلتفت إلى شاشة التتلفز ، متفأ :

- رباه ! يا لها من فكرة عبقرية !

ولثانية أو اثنتين ، ظل يحرق في الشاشة ذاهلاً ، قبل أن يتحول ذهوله وانفعاله كله إلى ضحكة مججلة ، أطلقها من أعرق أصغره ، قبل أن يعود بصره إلى شاشة الكمبيوتر ، وتعاود أصابعه تقاذفها على أزراره ، قائلاً :

- عبقري هو سيادة العميد (أدهم) .. عبقري بحق .

ثم عاد يضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

جيش من الصحفيين أحاط بالسفارة الإسرائيلية في (روما) ..

حشد غل من مصوري الصحف ، ورجال الإعلام ، في مظاهرة صحفية ، جذبت عشرات العارة ، وفريق من رجال الشرطة ، الذين يحاولون عبثاً تنظيم الموقف كله ..

هذا ما وقع عليه بصر (شيمون دورييل) ، الذي هتف بكل الغضب :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابته أحد رجال الأمن في ثوتر :

- لا ريب في أنه ذلك القتل ، خارج أسوار السفارة ، والذي أسفر عن انفجار دراجة آلية .. الصحافة والإعلام سيجنيهما حتماً ما حدث ، عندما تجاوز بعض الزملاء أسوار السفارة ، لإلقاء القبض على هذين المصريين .

التفت إليه (شيمون) ، قائلاً في غضب :

- أرايتم ما يحدث ، عندما تتحركون دون أوامر مني .. لقد أفسدتم بخطوة طائشة واحدة ، كل ما خططت له منذ ... قاطعة فجأة هتاف رجل أمن آخر ، وهو يشير بسبائته إلى حديقة السفارة :

- يا للهول ! ما هذا بالضبط ؟

استدار (شيمون) في سرعة ، إلى حيث يشير رجل الأمن الآخر ، ولم يكد ييصر الموقف ، حتى تفجر من أعق أصاقه غضب هائل ..

غضب رهيب ، بلا حدود ..

فهناك ، في حديقة السفارة ، كان اثنان من رجال الأمن الإسرائيليين ، يدفعان أمامهما محطة طبية ، رقد عليها (عماد) الفاقد الوعي ، ويرافقهما أحد الأطباء ، الذين تم استدعائهم من (تل أبيب) ، وكلهم يتجهون نحو باب السفارة الرئيسي ، تتابعهم عيون الصحفيين ، وخدمات المصورين ، و ...

« أي حدث شيطاني هذا ؟ »

صرخ (شيمون) بالعجالة ، وهو ينتزع هاتفه المحمول من جيبه بمنتهى الحدة ، ويضغط أزراره في سرعة ، هاتفًا :

— (دونهام) .. ساذًا يحدث بالضبط ؟! من أمر رجالك بإخراج ذلك المتمسلل المصري من هنا ؟! لقد كشفتكم كل ما جاهدنا لإخفائه أيها الأغبياء .

أتاة صوت (لونهام) مرتبًا ، عبر هاتفه المحمول ، وهو يقول :

— ولكن .. ولئننا نلذ أوامرك يا أدون (دوريل) .

اتعقد حاجبا (شيمون) في شدة ، وهو يهتف مستكبرًا ومستهجنًا :

— أوامري أنا ؟!

أجابه (دونهام) ، في ارتباك أكثر :

— نعم يا أدون (دوريل) .. أوامرك أنت .. لقد اتصلت بي من هاتفك المحمول ، منذ دقائق قليلة ، وأمرتني بإخراج المصري ، حتى لا نشير غضب الصحافة الإيطالية .

اتسعت عيننا (شيمون) عن آخرهما ، وهو يهتف ، بلهجة بدت أقرب إلى الذعر :

— أنا ؟!

رسم ذهنه ، في ثقية واحدة ، تلك المشاهد التي لم يرها ..

مشهد (أهم) ، وهو يستخدم وسيلة رقمية حديثة ، من داخل السفارة ، ليتحدث إلى هاتف (دونهام) المحمول ، ويستنفر موهبته اللذة في تقليد الأصوات ، ليأمره بإخراج المتمسلل ، باعتباره هو .. (شيمون دوريل) ..

ويكل غضب الدنيا ، هاتف (شيمون) :

— فليكن يا (دونهام) .. سنناقش هذا فيما بعد .. المهم

الايبيرو ذلك المصري الفائق الوعى أسوار السفارة ، بأى
ثمن كان .

قال (دونهم) فى حيرة :

- هل ستمنع خروجه ، بعد أن رآه الجسيع على هذا التحول ؟

صاح به (شيمون) فى ثورة :

- فليذهب الإعلام ، ولتذهب صحافة الدنيا إلى الجحيم ..
لن يخرج هذا المصرى من هنا ، إلا على جثتى .

قالت (منى) فى سخرية ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها :

- عجباً ! يبدو أن جبل الجليل قد تحول إلى بركان من الحمم ..

ضحك (أشرف) ، قائلاً :

- أكاد أسمع صوت سيادة العميد (أدهم) ، فهو وحده ،
من دون البشر ، قادر على إحداث هذا التحول المدهش ، و ...

قاطعه (شيمون) ، وهو يهتف برجاله فى حدة :

- لو نطلق أحدهما بحرف واحد ، تسفوا رأسيهما فوراً ، ودون
إتذار إضافى .

جذب رجال أمن السفارة إير مدافعهم الآلية القصيرة ، وأحدهم
يهتف فى حراسة :

- على الرجب والسعة ، يا ألون (دوريل) .

عاد (شيمون) ببصره إلى حديقة السفارة ، واشتغلت
الحمم فى أعماقه أكثر وأكثر ، عندما رأى الرجال يقتربون
بالمحفة أكثر وأكثر من البوابة ..

بل لقد بدأ حراس البوابة فى فتحها بالفعل ..

ومرة أخرى ، صرخ (شيمون) ، عبر هاتفه المحمول :

- مرهم بالتراجع يا (دونهم) .. مرهم بالتراجع فوراً .

ولكنه لم يتلق سوى الصمت المطبق ، من الجانب الآخر .
فأزاح هاتفه جانباً ، ولوح بذراعيه ، صائحاً بكل قوته :

- تراجعوا .. لا تخرجوا المصرى .

ولكن الضوضاء والضجيج فى الخارج حجبا صيخته عن
أذان رجال الأمن وحراسة البوابة ، فصاح فى ثورة ، منتفضاً
إلى رجال الأمن فى الحجرة :

- أسمعوا يا رجال .. لابد من منعهم من إخراج المصرى
بأى ثمن .

كان يدرك أنه حتى لو تحرك الرجال بأقصى سرعته ،
فوصولهم إلى بوابة السفارة ، قبل خروج المصرى الفائق
الوعى منها ، يعد مستحيلاً تماماً .

وبكل غضب الدنيا ، صرخ :

- كل هذا بسبب (دونهام) الغنى .. كل هذا بسبب ..

بكر عيارته بقعة ، وسرت في جسده كشورية باردة كتلحج ،
وعقله يسترجع عدة أحداث ، في آن واحد تقريباً ..

(دونهام) وهو يقاطعه فجأة ، داخل حجرة الضاية
الغالقة ، في نفس اللحظة ، التي هم فيها المصري بالإفصاح
عن مكان البطاقة الرقمية ..

حدثه الهامس بالعبرية ..

وموقفه هذا ..

...

وبكل غضب ومقت الدنيا ، هتف ، وهو يسحب مسدسه :

- آه .. (دونهام) .

ثم أدار فوهة مسدسه نحو حديقة السفارة ، مستطرداً في
شراسة وحشية مخيفة :

- إن لم تنظر به ، قلن ينظر به أحد .

أدركت (منى) ، وأدرك (أشرف) ، في لحظة واحدة ،
ما الذي يعنيه الإسرائيلى بالضبط ، فوثبت (منى) نحوه
كتمرة شرسية ، وهي تصرخ :

- لا .

ومع وثبتها ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية ..

وانطلقت الرصاصات ..

وتحوّل المكان كله إلى جحيم ..

جحيم حقيقى .



٣ - الغضب ..

عندما وقع اختيار مستر (X) على (ألبرتو) بالتحديد ، ليتابع أوامره في (روما) ، كان وثقا من حسن اختياره إلى أقصى حد ..

قد (ألبرتو) رجل مخبرات إيطالي سابق ، وقتل محترف حالي ، يتمتع بذكاء فوق المتوسط ، وسرعة بديهية ، وقدره على التعامل مع المواقف العصيبة ، كما يجيد عددًا لا بأس به ، من اللغات الأوروبية والشرقية ..

ولأن مستر (X) قد اتخذ قراره بلقضاء على (لورا كيلرمن) ، التي لم يعد يتقن بانتمائها وولائها ، فقد قرر أن يسند هذه المهمة لرجله (ألبرتو) ، لضمان سرعة ودقة التنفيذ ..

ولقد خطط (ألبرتو) للعملية بدقة كعادته ، فالتقط (لورا) من المطار مباشرة ، واصطحبها إلى منطقة منعزلة ، خارج طريق (روما) (نابولي) ، وألقى قوهة مسدسه بصدغها ، و ...

ونكن (لورا) لم تقف ساكنة ، أمام كل هذا ..

فما إن التصقت قوهة مسدس (ألبرتو) الباردة بصدغها ، مع توقف السيارة المفاجئ ، حتى مالَت إلى الخلف

بحركة سريعة ، وارتفعت يدها تقبض على مصمم (ألبرتو) ، وتكويه بقوة مباغتة ، قائلا :

.. ليس بهذه السهولة أيها الوغد ..

مالَت قوهة المسدس بحركة حادة ، في نفس اللحظة التي ضغط فيها (ألبرتو) زناد مسدسه ..

فانطلقت الرصاصة ..

انطلقت لتلسف رأس سائق السيارة ، الذي تفجرت منه الدماء ، لتتناثر على الزجاج الأمامي في عنف ..

وقبل حتى أن يستوعب (ألبرتو) ما حدث ، انشترعت (لورا) من حزامها دبوسًا معدنيًا طويلًا ، يبدو أشبه بحلقة أثيقة ، فصاح بها في غضب ، وهو يفتزع مصمعه من بين أصابعها :

.. هل تتصورين أنك ستقتلين بهذا الشيء المخيف ؟

دفعت الدبوس المعدني نحو عقه ، في قوة وسرعة ، وهي تقول في حزم :

.. بل أنا واثقة من هذا ..

تسعت عيناه عن آخرهما ، عندما أغرس الدبوس المعدني

حتى آخره ، في وریده العنقى ، وقطعت من حلقة شهقة مكتومة ،
وهي تتابع :

- فربما لا يكفى حجم دبورسى هذا لقتلك .

ثم تراجعت فى سرعة ، مضيفة فى لهجة بحث ساهرة ،
على الرغم من وحشية الموقف :

- ولكن ماذا عن السم الزعاف ، الذى طلبته به ؟

أطلق (ألبرتو) شهقة أخرى ، على الرغم منه ، مع التقلصات
العنيفة ، فى عنقه وعضلاته واتسعت عيناه عن آخرهما ،
مع الانقباضات القوية ، فى كل جزء من جسده ، فى حين
استرخت هى تماماً ، وارتسخت على شفتيها ابتسامة جذلة ،
والتقطت سيجارة من علبتها ، وأشطتها فى استمتاع ، وكأنيها
تتابع فيلماً هزلياً ، وجسد (ألبرتو) ينتفض ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ثم سقط مسدسه عند قدميها ..

وأطلق شهقة أخيرة ..

وسقط جثة هامدة ..

وفى هواء عجيب ، نفثت (لورا) دخان سيجارتها ، وهى تتمتع
بابتسامة ساهرة :

- أكنت تتصور أن التخلّص منى سهل إلى هذا الحد ،
يا مستر (X) ؟

قالتها ، وأدارت عينيها خلفها ، فى نفس اللحظة التى برزت
فيها سيارة ثيقة صغيرة ، إيطالية الصنع ، وتوقفت خلف سيارة
(ألبرتو) تماماً ، فضغت (لورا) ، وهى تغادر السيارة الأخيرة :

- عظيم .. كل شيء يسير ، وفقاً للتوقيت المتفق عليه ..

وفى هواء ، نفثت فى المقعد الخلفى للسيارة الأخرى ، وأشارت
إلى سائقها ، الذى بدا شديد الهدوء ، قليلة بلهجة أمرة :

- هيا بنا .. المكان هنا تبعث منه رائحة سيئة ، لا تروق
لنى أبداً .

سألها السائق فى هدوء :

- هل تترك سيارتهما هنا ، أم تشغل فيها النيران ؟

قالت فى حزم :

- ليس لدينا وقت لإشغال النيران ..

ثم نفث دخان سيجارتها ، مضيفة بابتسامة جذلة :

- فليست أطيق صبراً على رؤية افعال مستر (X) ، عندما أخبره بما حدث هنا .

قلتها ، فطلق السائق بالسيارة على الفور ، في حين أطلقت هي ضحكة عالية عابثة طويلة ..

ضحكة مألوفة ..

مألوفة تماماً ..

في نفس اللحظة ، لقيت قفصت فيها (منى) على (شيمون) ، وأمسكت معصمه في قوة ، وثب (أشرف) كالقيد ، نحو رجال أمن السفارة الإسرائيلية الأربعة في الحجرة ، هاتفاً :

- معذرة أيها الأوغاد .. هذا ليس أمراً شخصياً .

ركلت قدمه منفع أحدهم ، ثم دارت لتعطم أنف الثاني ، وهو يتابع :

- ولكنني أبغض الحقارة في المعتاد .

أربع تلك الانقضاضة المزدوجة رجلى الأمن الآخرين ، فتراجع أحدهما ، وهو يرفع فوهة منفعه الآلى نحو (أشرف) ،

في حين استدار الثاني ، يصوب منفعه إلى (منى) ، التي لكت

(شيمون) في عنف ، صالحة :

- على جثتي .

تلقي (شيمون) الكلمة ، وتراجع بحركة حادة ، لأنه لم يلبث أن اندفع نحوها مرة أخرى ، وهو يهتف بكل وحشية الدنيا :

- فليكن أيتها المصرية .. سأفعلها على جثتك .

رأى (أشرف) فوهة مسدس (شيمون) ، ترتفع نحو (منى) ، في نفس اللحظة التي هم فيها رجل الأمن الإسرائيلي الثاني ، بضبط زناد منفعه الآلى ، المصوب أيضاً نحوها ، فوثب محاولاً موازرتها ، وهو يهتف :

- حذار أيتها المقدم .

احتل جسده ذلك الفراغ ، بين جسدها وفوهة المنفع الآلى ، الذي انطلقت رصاصاته في اللحظة ذاتها ..

واخترقت الرصاصات كلها ظهره ..

بمنتهى العنف ..

ومنتهى القوة .

وعلى الرغم من حمايتها المدعشة ، التي نقلت بها رصاصة
(شيمون) ، صرخت (منى) :

- (اشرف) .. ٧ ..

رغم سقط أرضاً ، فى نفس اللحظة التي استدار فيها (شيمون) ،
مصوباً مسدسه إلى جسد (عماد) ، الذي كان يتجاوز أسوار السفارة
بالفعل ، فصرخت بكل الغضب ، وهي تثب متعلقة بعنقه :
- قلت لك على جنتي .

صرخ (شيمون) فى غضب هائل ، وهو يحاول لتزاح ذراعيها
من حول عنقه ، وتضاعف غضبيه ألف مرة ، عندما رأى
(دونهام) يندفع نحو بوابة السفارة ، هاتفاً برجال أمنها :
- أسرعوا .. أخرجوه فوراً ، قبل أن نلتهمنا الصحافة .
وصرخ (شيمون) :

- لا .. لن يستعيد المصريون أبداً .

غرست (منى) أنفاسها فى عنقه ، فى هذه اللحظة ، صالحة :
- هذا ما نتمناه أيها الوغد .

صرخ (شيمون) مرة أخرى ، وقد شلته ثورة عارمة ، جعلته
يطلق رصاصاته فى سقف الحجرة ، فاندفع رجل الأمن المتبقي
نحوه ، وهو يكعب منفعه على مؤخرة عنق (منى) . بكل
ما يملك من قوة ..

وانتفض جسد (منى) فى عنقا ..

انتفض فى نفس اللحظة ، التي شاهد فيها (شيمون) (راشيل) ،
امرأة (الموساد) الشرسة ، وهي تندفع نحو المبني ، محاولاً
معرفة سر دوى الرصاصات فى داخله ، فرفع جسده نحو النافذة ،
صالحاً :

- (راشيل) .. المصري .. المصري يا (راشيل) .

كانت (منى) تقاوم الغيبوبة بمنتهى الإصرار والقوة ، إلا أن
رجل الأمن هوى على مؤخرة عنقها بضربة لكسر عنقا ، فى نفس
اللحظة التي فهمت فيها (راشيل) ما يقصده (شيمون)
بصيحته ، فالتزعت مسدسها ، وانطلقت تعدو نحو بوابة
السفارة ، صالحة :

- أغلقوا البوابة .. لا تخرجوا المتسلل .

كان رجال الصحافة والإعلام يتبعون لموقف فى دهشة مبهورة ،
ومصاحبه آلات تصويرهم تستطع فى سرعة وغزارة ، إلا أن
(راشيل) لم تبال ، وهي تندفع نحو المحفة ، التي تحمل جسد
(عماد) ، ومسندسها مصوب إلى رأسه ، و ...

وفجأة ، اعترض (دونهام) طريقها ، وهو يقول فى صرامة :
- ليس بهذه البساطة .

نطقها بصوته ولهجته الحقيقيين ، وليس بأسلوب مسئول أمن
السفارة ، الذي يتحل شخصيته ، فزجرت (رائيل) ، صالحة :
- أه .. إذن فهو أنت .

تحرك (أدهم) في سرعة ، ولمسك مصمها ، لئلا يمنعها من إطلاق
النار على (عماد) ، قائلاً :

- عظيم أنك قد أدركت هذا .

صرخت ، وهي تهوى بقبضتها على وجهه ، صالحة :

- معلوماتي تقول : إنك لا تقتل النساء .

تلقى لكمتها على ساعده ، وهو يقول في حزم :

- أضيفي معطوفة أخرى إليها إذن .

وهوى على فكها بكلمة ساحقة ، مستطرداً :

- إنني مستعد لتجاوز كل القواعد ، من أجل (مصر) .

أطلقت (رائيل) صرخة غضب ، وهي تفقد توازنها ، وتسقط
على ظهرها أرضاً ، في نفس اللحظة التي استدار فيها
(أدهم) ، وشاهد المحفة تعبر بوابة السفارة الإسرائيلية
بالفعل ، والرائد (مدوح) يندفع نحوها ، وفقاً للخطة ، و ...

وفجأة ، دوث رصاصية من مبنى السفارة .

وانتفض جسد (عماد) في عتف ، فوق محفته ..

ومن قمة رأسه ، تفجرت الدماء في قوة ..

وشهق رجال الصحافة ..

وتراجعوا في ارتياح ..

وسطعت مصابيح تصويرهم أكثر وأكثر ..

وانعقد جاجيا (أدهم) في شدة ، وهو يستدير إلى تلك
النافذة ، التي وقف فيها (شيمون) ، ممسكاً أحد مدافع
رجال الأمن في قوة ، والدخان يتصاعد من فوهته ..

وكانت عيناه تتألقان في ظفر وحشى رهيب ..

ظفر يعنى أنه قد ربح الجولة ..

وبكل جدارة ..

وعلى الرغم من فوهات مسنسات رجال الأمن ، التي
ارتفعت نحوه ، إثر صيحة أطلقها (شيمون) ، خلال لحظة
المسكون ، التي تلت إطلاقه النار على رأس (عماد) ، شعر
(أدهم) بغضب عارم يتفجر في أعماقه ..

غضب تجاوز الحدود ..

كل الحدود ..

اتعهد حاجبا مدير المخابرات المصرية في شدة ، وهو
يشاهد تلك الفيلم ، الذي نقلته وكالات الأنباء العالمية ،
لما دار في مبنى السفارة الإسرائيلية في (روما) ، قبل أن
يقول في مرارة :

- إنني فقد قتل هؤلاء الأوغاد (عماد) و (أشرف) ، دون
أن يبالوا بعنسات التصوير ، أو جيش رجال الإعلام ، الذي
أحاط بالسفارة ! يا الحقارة !

قال مساعده في أسى ، وهو يتابع الشريط المسجل للواقعة
بدوره :

- ليس هذا فحسب ياسيدى ، ولكن الإسرائيليين ألقوا
القبض على سيادة العميد (أدهم) ، والمقدم (منى) أيضا ،
ويحتجزونهما داخل سفارتهم ، التي تعتبر أرضا إسرائيلية ،
وفقا للقانون الدولي .

قال المدير في غضب :

- يمكننا أن نتقدم باحتجاج رسمي ، لاحتجازهم مواطنين
مصريين ، داخل سفارتهم ، دون وجه حق .

تتهد المساعدة ، قائلا :

- خبراء الشؤون القانونية يدرسون هذا الأمر ياسيدى ،
ولكن الإسرائيليين سيطلبون تفسيراً رسمياً ، لوجود سيادة
العميد (أدهم) ، والمقدم (منى) ، داخل سفارتهم ،
والقانون الدولي يمنحهم الحق في الدفاع عن السفارة ، بكل
الوسائل الممكنة .

تطعن إليه المدير بضع لحظات في صمت ، قبل أن يعود
إلى مكتبه ، ويجلس خلفه ، قائلا :

- ياله من موقف !

مط المساعدة شفتيه ، وقال بنفس الأسى :

- أظننا قد خسرنا هذه العملية ياسيدى .

أجابه المدير ، في سرعة وحزم :

- بل خسرنا جولة فحسب يا رجل .

وتراجع في مقعده ، مشيراً بيده ، ومستطرداً :

- (ن - ١) مازال هناك .

قال المساعد في حذر :

- في قبضة الإسرائيليين .

أجابته المدير بنفس السرعة والحزم :
- ولكنه هناك .

ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مضيقاً :
- وهذا يعنى أن المبراة مازالت مستمرة ، حتى لحظة النهاية .
أوما المساعد برأسه إيجاباً ، وقال فى حذر أكثر :
- هذا لو ظل سيادة العميد (أدهم) حتى النهاية !
ولم يطلق مدير المخابرات هذه المرة ..
فقط اتفقد حجاباه فى شدة ، وكلمة واحدة تتردد فى ذهنه ..
لو ..

« أنت الآن فى قبضتنا ياسيد (أدهم) .. »

نطق (شيمون) للعبارة ، فى مزيج من التشقى والظفر ،
وهو يجلس على مقعد وثير ، فى قبو السفارة الإسرائيلية ، متكلماً إلى
(أدهم) و (منى) ، اللذين تم وضعهما داخل زنزانة صغيرة ،
ذات قضبان فولاذية قوية ، يصوب إليها رجال الأمن الإسرائيليين
مدافعهم الآلية ، ثم اتسعت ابتسامته المقيتة ، وهو يضيق :
- وبإشارة واحدة من سبائتى ، يمكن لرجالى إطلاق نيران

مدافعهم عليك ، وعلى زميلتك التى لم تستد وعيها بعد ، وقتلكما
بلا رحمة ، داخل مصيدة الفئران هذه .

أجابته (أدهم) فى هدوء عجيب :
- لو أننى فى مكانك ، لما ترددت لحظة فى فعل هذا .
قال (شيمون) فى سخرية :
- حقاً ؟

أجابته (أدهم) بنفس الهدوء :
- نعم .. حقاً إليها الوعد ، فمقتلى ربما يكون فرصتك الوحيدة !
لتنجو من قبضتى ، جزاء ما فعلت بزميلينا .

مط (شيمون) شفثيه ، وهو يشير بيده ، قاتلاً :
- تماماً كما يقول ملفك يا (أدهم) .. متحلق ، مغرور ،
ولا تستسلم قط للهزيمة .

أجابته (أدهم) فى سرعة :
- وأنت أيضاً إليها الوعد .. تماماً كما يقول ملفك :
حقير .. وضيع .. قذر .. لا تتوانى عن قتل مصابى فائد
الوعى ، مادام هذا يحقق مصالحك .

قال (شيمون) ، في شيء من الحدة :

- هذا ما ينبغي أن يفعله أي وطني مخلص يا رجل .. أن يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار ، وفوق كل قواعد أيضًا .
أدعشه أن أجابه (أدهم) في هدوء :
- بالضبط .

تراجع (شيمون) في مقعده ببضعة خفز ، فتابع (أدهم) في لهجة ، حملت على الرغم من هدونها الشديد ، نبرة غاضبة مخيفة :

- لذا ، فينبغي أن تعلم أنني سأطرح كل قواعدى جانبًا ، عندما نلتقي في المرة القادمة ، وسألق غفك بلارحمة ، حتى لو كنت أعزل من السلاح .

اتخذ حاجبا (شيمون) بشدة . وهو يتطلع إليه لنصف دقيقة كاملة في صمت ، قبل أن يقول في برود ، وهو ينهض من مقعده :

- سنرى ياسيد (أدهم) .. سنرى .

ثم اتجه إلى الخارج ، مضيقًا بلهجة أمرة :

- أبقى ثلاثة منكم لحراسته .. ببنى أريده حيًا ، عندما نستعيد تلك البطاقة الرقمية ، ولكن لو راودكم الشك ، في أية حركة يقوم بها ، انسفوا رأسه ورأس زميلته بلا تردد .

غمغم أحد الرجال ، بابتسامة متشفية :

- سيسمحني أن أفعل يا أدون (دوريل) .

واصل (شيمون) طريقه نحو الباب ، ثم توقف لحظة ، قبل أن يلتفت إلى (أدهم) ، قائلاً :

- هناك أمر واحد لم أفهمه .

قال (أدهم) في هدوء مدحش :

- أي أمر هذا ؟

أشار (شيمون) بسبائته ، قائلاً :

- لقد أركت كل مافقتة ، بعد أن عثرنا على (دونهم) الحقيقي مقيدًا ومكتمًا ، داخل حجرة مكتبة الخاصة ، التي أمرت رجال الأمن بعدم الاقتراب منها ، وأنت تتنحل شخصيته .. كانت عقوبة منك أن تصل في هيئة مفتش شرطة إيطالي ، ثم تنتقل إلى شخصية مسئول أمن السفارة ، فوحده سيبقى خارج دائرة الشك طوال الوقت ، ولكن كيف أرسلت تلك الرسالة القصيرة ، وقت تلقى معنى ، في حجرة الغنية لمرمرة ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلاً :

- يبدو أنك لا تتابع التطورات التكنولوجية جيدًا أيها الوغد !

فألهواتف المحمولة الحديثة تمتلك خاصية بسيطة ، تسمح لك بتحديد موعد إرسال تلك الرسائل القصيرة مسبقاً .

وتراجع في مقعده ، مستطرداً ، في سخرية أكثر :

- لقد تصوّرت أنك ستسألني ، كيف أدرك (صدا) خذعتك ، وكشف أمر خطتك المتقنة ؟!

قال (شيمون) في صرامة :

- وما شأنك أنت بهذا ؟!

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً في سخرية بلاغة :

- ماشئني ؟ رياه ! يبدو أنك تتميز بالغباء والمحنونية أيضاً أبها الوغد ..

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً :

- صحيح أنني كنت أحدثك إليك همساً ، بصوت شديد الخفوت ، إلا أنني كنت أذكك بالعبرية ، وليس بالعربية .

العقد حاجبا (شيمون) أكثر ، وهو يقول في توتر :

- من المستحيل أن يسمع زميلك ما قلناه .. الصوت كان خائفاً للغاية !

قال (أدهم) ، في سخرية متجدية :

- ليس بالنسبة لخبير مثله ، في قراءة حركات الشفاه .

احتقن وجه (شيمون) بشدة ، وهو يغمغم :

- أيها الـ ...

تراجع (أدهم) في مقعده ، وليستأذنه السلفرة تتسع ، على نحو مستفز ، فانتفض جسده (شيمون) ، وهو يقول :

- فليكن ياسيد (أدهم) .. الحكمة تقول : من يضحك أخيراً ، يضحك كثيراً .

قال (أدهم) في غنوء :

- سيكون من حسن حظك إن أن تصاب بالصمم ! فبصوت ضحكك في الجولة الأخيرة ، سيكون أعلى من أن تحتمله أنك ..

ازداد احتقان وجه (شيمون) ، وهو يقول :

- سنرى .

ثم تنفع بغدر القبو ، في نفس اللحظة التي سقطت فيها (منى) ، وغضبت ، وهي تستعيد وعيها :

- يا له من صداع رهيب .

التفت إليها (أدهم) ، ورّبت عليها في حنان ، قائلاً :

- حمداً لله على سلامتك يا عزيزتي .

تسعت عيناها عن آخرها ، وهي تحلق في وجهه غير مصققة ، قبل أن تهتف في لهقة ، وهي تهب جالسة :

- رباه ! (أدهم) .. حمداً لله .. حمداً لله .

مع اعتدالها ، انتهت إلى القضبان ، والرجال الثلاثة المسلحين ، وفوهات مدافعهم الآلية ، المصوِّبة إليهما ، فهتفت في انزعاج :

- رباه ! أين نحن بالضبط ؟؟

مرر أصابعه على شعرها ، في محاولة لتهنئتها ، وهو يجيب :

- في قبو السفارة الإسرائيلية .

تسعت عيناها مرة أخرى ، وهي تهتف :

- رباه ! هل وقعنا في قبضتهم ؟؟

هز كتفيه ، مجيباً في بساطة ، لا تتناسب مع الموقف :

- يبدو لذا .

هتفت :

- وتركونا على قيد الحياة ؟

تراجع في مقعده ، في هدوء مذهش ، وهو يجيب :

- هذا أكبر خطأ ارتكبهه يا عزيزتي .

أجابته أهد رجال الأمن في سخرية عصبية :

- يمكننا تصحيح الخطأ ، في أية لحظة يا هذا .

تجاهله (أدهم) تماماً ، وهو يقول له (مني) :

- من الواضح أنهم يفهمون العربية ، ولقد اتخذوا ثلاثة مواقع متباعدة ، كما تنص قواعد الأمن الأساسية ، وكما ترين ، فوهات أسلحتهم كلها مصوِّبة إلينا في تحفز .

ثم علا يميل نحوها ، مضيقاً بهدوء أكثر :

- ولقد جردونا من كل أسلحتنا بالطبع .

تطلعت إليه في صمت ، وألف سؤال يمزج في أصاقيها ..

ما الذي يخفيه بالضبط ؟؟

هدوؤه الشديد هذا يعني أن عقله يعمل بسرعة الصاروخ ، لإيجاد مخرج من هذا الموقف العصيب ..

ولكن أي مخرج ؟؟

إنهم داخل زنزانة صغيرة ، لها قضبان فولاذية قوية ،

داخل قبو السفارة الإسرائيلية ، وثلاثة مدافع آلية مصوبة
إليهما ..

أى أمر يمكن أن يخرجهم من كل هذا ؟؟

أى أمر ؟؟

« لقد قتلوا (عماد) .. »

لتلصص جسدها في عطف ، عندما تطلق (أدهم) العبارة ، وحسبكت
فيه ، هاتفه فى ملح مذعور :

.. لقتلوه ؟؟

بدا صوته قاسياً كالقذائف ، حازماً كالف ألف سيف ، وهو
يقول :

.. وسيدفعون الثمن .

ابتسم أحد رجال الأمن الثلاثة ، وهو يقول فى سخرية :

.. وكيف سمدفع الثمن أيها المتحذلق ؟؟ تغدأ أم بوساطة
بطاقات الائتمان ؟؟

استدار إليه (أدهم) ، قائلاً فى صرامة مخيفة :

.. مارأيك ببطاقات الدم ؟؟

لحقن وجه الرجل ، وحمل صوته قرأ هلالاً من الغضب والعمق ،
وهو يقول :

.. الدم يمكن أن يراق فى أية لحظة أيها المصرى .

نهض (أدهم) من مقعده الخشبي ، وقال فى سخرية :

.. يا للشجاعة ! من السهل بالطبع أن تتحدث بهذا الأسلوب
الحقير ، عندما تمسك بيدك مدفعاً آلياً ، فى مواجهة شخص
أعزل .

هتف الرجل :

.. لن تنجح فى استغزائى ، بهذا الأسلوب الملتوى .

واصل (أدهم) ، وكأ أنه لم يسمعه :

.. أما لو تواجعتنا رجلاً لرجل ، لحطمتك بقبضتى هكذا .

قالها ، وهوى بقبضته فجأة ، على منتصف المقعد
الخشبي ، ليحطمه بمنتهى العنف ، على نحو أدهش
(منى) نفسها ، ودفعها إلى أن تتراجع بخطوة خلفية
حادة ، هاتفه :

.. (أدهم) ؟؟

لم يبد حتى أنه قد سمعها ، وهو يلتقط واحدة من أرجل
المقعد المحطم ، متابعاً في سرية أكثر :

- وقطعة خشب كهذه ، يمكنني أن أهزم مدفعك الآلى
الإسرائيلى الحقيقى .

احتقن وجه الرجل أكثر وأكثر ، وتراجع مشيئاً إلى
زميله ، وهو يقول ، بكل الغضب والصرامة :

- يبدو أنك قد نسيت تعليمات دون (دوريل) ، أيها المصرى
المتحذلق .. لقد سمح لنا بإطلاق النار عليك ، عند أول
بادرة شك ..

وجذب إبرة منفعه الآلى ، مضيقاً في شراسة :

- وتصرفاتك تبعث في نفسى كل الشك ، اللزيم لتنفيذ هذا
الأمر .. أليس كذلك يارفاق ؟

جذب الآخران إبرتى مدفعيهما يدورهما ، وأحدهما يقول
في صرامة :

- بالتأكيد ..

تألفت عينا الرجل ، وهو يصوب مدفعه إلى (أدهم)
(منى) ، قائلاً :



قالها . وهوى بقبضته فجأة ، على منتصف المقعد الخشبي
ليجعله ينتهى العنف ..

- حاول أن تستخدم سخريتك السخيفة هذه ، مع شياطين
الجحيم .

وسرت رعدة قوية في جسد (منى) ..

فلى موقف كهذا ، كان من الواضح أنهما قد خسرا
المعركة ..

خسراها إلى الأبد .



٤ - العامل البشري ..

اعتقل مستر (X) على مقعده ، وتأكد من أن الضوء من
خلفه لا يسمح بكشف ملامحه ، قبل أن يضبط زر الاتصال
المرئى ، استجابة لإشارة ملحة ، وهو يقول فى صرامة ،
عبر جهاز تغيير الأصوات ، الذى يمنح صوته رنيناً أليفاً
خاصاً :

- هل نلقت مهمتك يا (ألبرتو) ؟!

أدهشه أن بدت على شاشته صورة (لورا كيلرمان) .
وهى تقول فى سخريّة :

- معذرة يا مستر (X) ، ولكننى لست (ألبرتو) .

أخفى الظلام المحيط به اعتقاده حاجبيه ، وتوتر ملامحه
الشديد ، إلا أن جهاز تغيير الأصوات لم ينجح فى إخفاء
عصبيته ، وهو يقول :

- ماذا تفعلين عندك يا (لورا) ؟! المفترض أن هذا منزل
مساعدى (ألبرتو) ؟!

هزت كتفها بلا مبالاة ، وهي تشعل سيجارتها ، قائلة :

- مساعذك (أوبرتو) لم يعد يحتاج إلى هذا المنزل الكبير الفاجر ، فليديه الآن الجحيم كله ، يعبت فيه كيفما يشاء ، ولكنني أعتقد أن ماكنت تقصده بسؤالك هو : ماذا تفعلين في هذه الحياة يا (لورا) ؟

ثم مالت نحو شاشتتها ، ونفثت فيها دخان سيجارتها ، مستطردة :

- أليس كذلك ؟

صمت ستر (X) طويلاً ، وهو يتطلع إلى صورتها على الشاشة ، قبل أن يقول في صرامة غاضبة :

- من أنت بالضبط ؟

تراجعت بإبتسامة ساخرة ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى في عمق ، قائلة :

- عجباً ! هل نسيتي يا عزيزي الزعيم ؟ أنا (لورا) .. تابعك المخلصة (لورا كليمان) ، التي مسلعت ملها ، فأرسلتها لتموت هنا في (روما) .

كرّر في صرامة أكثر :

- من أنت ؟

أطلقت ضحكة عابثة قصيرة ، قبل أن تقول :

- من تظنني ؟

أجابها في حدة :

- لست (لورا كليمان) بالتأكيد .

ابتسعت في سخوية ، وهي ترفع ذراعها جانباً ، قائلة :

- ولماذا تفترض هذا يا زيمي ؟ أليست ملامحي ..

قاطعها في صرامة غاضبة :

- ملامحك قد تشبه (لورا) إلى حد ما ، ولكن تتفكر ليس متقناً إلى الحد الكافي لخداعي .. حتى صوتك لا يشبه صوتها أبداً .

أطلقت ضحكة طويلة معطوطة ، وعادت تلفت دخان سيجارتها ، قبل أن تقول في عتب :

- كنت واثقة من أنك ستلاحظ هذا .

قال في حدة :

- لقد قتلت (لورا) ، وفتحلت شخصيتها !

هزّت رأسها نغماً في هدوء ، قائلة :

- كلاً .. (لورا) الحقيقية ما زالت على قيد الحياة ، فقد
أسندت إليها دوراً مهماً ، في لعبتي الجديدة .

شعرت كل ذرة من كيانه بالثبوت ، وهو يلوذ بالصمت
بضع لحظات ، ثم يسأل في صرامة :

- من أنت ؟؟

التقطت نفساً عميقاً من سيجارتها ، قبل أن تلقيها بطول
يدها ، قائلة :

- اعتصر عقلك يا زعيبي ، وحاول أن تعثر على الجواب .

أنهت قولها بضحكة عابثة طويلة ، قبل أن تقطع
الاتصال ، فاحتقن وجهه بشدة ، ونصاعده في أعماقه غضب
هادر . في نفس اللحظة ، التي استدارت فيها هي إلى
مساعدها ، قلقة في حزم ، لا يتناسب مع سخريتها السابقة :

- هل سجدت كل شيء ؟؟

لجأها مساعدها ، في هدوء بارد :

- كل شيء يا سيديتي .

تراجعت في مقعدها ، قائلة :

- عظيم .. فليبدأ رجال القسم الفني عملهم على الفور ..
أريد معرفة كل التفاصيل ، بأسرع وقت ممكن ..

ثم أشعلت سيجارة أخرى ، قبل أن تضيق في
صرامة :

- إنني أتحرك شوقاً لرؤية أثر المفاجأة ، على وجه
مستر (X) العزيز ، عندما نلتقي .. وجهاً لوجه .

في اللحظة ذاتها ، التي نطقت فيها عبارتها الأخيرة ،
كان مستر (X) يحاول الاسترخاء في مقعده ، واستعادة كل
حرف تباله مع تلك التي تتخل شخصية (لورا كيلرمان) ..
وبضغطة زر ، أعاد عرض كل مآلر بينه وبينها ، على
شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به ..

كل حوار ..

كل جملة ..

كل كلمة ..

بل كل حرف ..

ورويذا رويذا ، راحت فكرة ما تتكون في ذهنه ..

فكرة عجيبة ..

ومخيفة ..

ولكنها منطقية ..

منطقية تماماً ..

وبكل ثوتر وغضب الدنيا ، تعقد حاجباه ، وذهنه يرتب الأحداث ، ويلرس كل التطورات السابقة والحالية ، و ...

« إنها هي .. »

نطقها في صرامة ثائرة ، قبل أن يعتدل ، ويلتقط هاتفه المحمول ، المزود بخاصية عدم التتبع ، والمتصل مباشرة بالاتصالات الصناعية ، ليبدأ سلسلة اتصالات خاصة .. قبل أنسية إليه ، ثم إعلان الحرب بالفعل ..

وعليه أن يضع خطة هجوم ساحق ، في هذه الحرب ..

حرب البقاء ..

الأخيرة ..

* * *

« أريد تلك المصرية .. »

نطقت (راشيل) العبارة ، في صرامة عصبية ثائرة ، جعلت (سيمون) يتراجع في مقعده ، ويشيك كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

- فيما بعد يا (راشيل) .. فيما بعد -

لوحت بذراعها ، هاتفة في حدة :

- أي بعد ؟! لقد ظفرتنا بها بالفعل ، وبزميلها الذي يتمنى كل رجل مخبرات في عالم الظفر به ، وكان ينبغي أن نتخلص منهما فوراً ، ولكنك أبقيت عليهما لسبب ما ، لا يمكنني استيعابه أبداً .

- بدا عليه الغضب ، وهو يقول :

- لكل شيء أسبابه يا (راشيل) .

قالت في عصبية بالغة :

- ملف ذلك المصري يؤكد ، أن كل من قبلنا قد فشل في القضاء عليه ، لأنه منحه فرصة للبقاء .. الوسيلة الوحيدة ، كما تؤكد الأوراق ، هي قتله فور رؤيته ، وهذا ما لم تفعله يا أدون (دوريل) ..

بدا شديد الصرامة والبرود ، وهو يقول :

- إنك تتجاوزين حدودك يا (راشيل) .

لوحث بسائلها في وجهه بحدة ، هاتفة :

- وأنت تتجاوز كل قواعد الأمن يا أدون (دوريل) ، وكل

الـ ...

هبا من مقعده فجأة ، وقبض على معصمها بأصابع قوية ،

وهو يقول في شراسة :

- كفى .

خلقت في وجهه بدهشة ، فمال نحوها ، حتى شعرت

بلفح أنفاسه ، وهو يضيف بكل الصرامة والوحشية :

- لو واصلت تجاوز حدودك ، سأتمسف رأسك بنفسى ،

دون لحظة تردد واحدة .

لنقت عيونهما في وقت شديد ، قبل أن تقول هي في بطء :

- لقد أوضحت وجهة نظرك .

ثم ابتعدت عنه ، مضيفة في عصبية :

- ولكننى مازلت أريد تلك المصرية .

وأشارت بيدها إلى إصابتى وجهها ، مستطردة :

- لا بد أن تدفع ثمن هذا .

قال في صرامة :

- هذا يمكن محوه ، بعملية تجميل بسيطة .

قالت في حدة :

- وماذا عن الجراح الداخلية ؟! أيمكن محوها أيضًا ،

بعملية تجميل بسيطة ؟!

شعر بمزيج من الضجر والغضب في أعماقه ، على نحو

جعلته يسألها في حلق ساخط :

- كيف يمكن محوها إذن ؟!

أجابته في سرعة :

- بأن أقتل تلك المصرية .

وتألفت عيناها بهريق وحشى مخيف ، وهي تضيف :

- أمام عيني زميلها .

لتقى حاجباه ، وتراجع في صمت وبطء ، ليعاود الجلوس

على مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر في
عمق ، دون أن يرفع عينيه عنها ..

لماذا يرفض تلبية مطلبها ١٢

بل ولماذا حرص على الإبقاء على (أدهم) وزميلته ١٣

لماذا لم يأمر رجله بإطلاق النار على راسيهما مباشرة ١٤

لماذا ١٤

لماذا ١٤

هل أخذته نشوة النصر ، وأراد أن يستمتع بانتصاره ،
لأطول وقت ممكن ، قبل أن ينهي حياة (أدهم) ١٥

أم أنه هناك سبب آخر ١٥

سبب مدفون في أعماق أعماق عقله الباطني ١١

هو نفسه يشعر بالحيرة لماذا ..

وربما لأول مرة في حياته كلها ..

وهو يكره هذا ..

يكرهه بشدة ..

ثم إن (راشيل) غنى حق ..

لا ينبغي أن يمنح (أدهم صبرى) أية فرصة للنجاة ..

ينبغي أن يقتله على الفور ..

صحيح أنه يحتفظ به في زنزانية خاصة ، في قبو
السفارة ، تحت حراسة ثلاثة من رجال الأمن المسلحين ،
ولكنه لا يشعر بأن هذا يكفي ..

بل إنه حتماً لا يكفي ، مع رجل مثل (أدهم) ..

لا يكفي أبداً ..

وبحركة حادة مفاجئة ، هب من مقعده ، قائلاً :

- فليكن ..

تأثقت عينا (راشيل) مرة أخرى ، وهي تهتف :

- هل ستمنحني إياها ١٤

أجابها في حزم :

- أعدى مسدسك يا (راشيل) ، فستفقرين بها الآن ،

فتقت :

- هل ستتركني أقتلها ١٥

محب مستدسه ، قالاً في صرامة :

- سنقيم حفلاً يا عزيزتى (راشيل) .. سنهبط إلى القيو
معا .. أنت ستظفرين بالفتاة أولاً ، وبعدها سأطلق أنا النار
على رأس (أدهم) ، بعد أن تلفظ هي أنفاسها الأخيرة بين
ذراعيه ..

واندفع خارج المكان ، مستطرداً في شراسة :

- والواقع أنه لا يمكننى الانتظار .

قالها ، واندفع كلاهما إلى قيو السفارة ، وقد اتابهما معا
الفعال جارف .. انفعال وحش ..

رهيب ..

* * *

من المعروف أن الغضب الفعال جارف ، يطلق في المرء
طاقة هائلة ، تضاعف من قدراته وإمكانياته ..

المشكلة الوحيدة ، هي أنه يفقد الإنسان سيطرته على
مشاعره ، وعلى اتزانة العقلى والنفسى ، مما يجعل
تصرفاته متخبطة ، ويبعد عن قراراته الحكمة والاتزان ،
وحسن التقدير .

ولكن ماذا لو أن كل طاقة الغضب هذه قد تفرجت ، في
كيان ، رجل مثل (أدهم صبرى) ؟! رجل اعتاد ألا يخدم
صوت عقله أبداً ، أو يفقد السيطرة على اتزانة ومشاعره ،
منهما كانت الأسباب ..

في هذه الحالة ، من المؤكد أن الأمر سيختلف ..

سيختلف كثيراً ..

وهذا ما أدركته (منى) في الثانية التى تلت تصويب
رجال الأمن الثلاثة لمدافعهم الآلية ، نحوها ونحو
(أدهم) ..

فحجاة ، وبسرعة مذهلة ، تتجاوز حتى أقصى سرعة
شهادته يعمل بها ، ألقي (أدهم) ثلاثاً من أرجل المقعد
المحطم ، نحو رجال الأمن الثلاثة ، بكل ما يملك من قوة ..

وبدقة مدهشة ، أصابت الأرجل الخشبية الثقيلة رجوس
الرجال الثلاثة ، بمنتهى العنف ، حتى إن (منى) تكاد تقسم
أنه ، من فرط السرعة والقوة ، لم يدرك رجال الأمن
الإسرائيليون الثلاثة ما أصابهم ، قبل أن يسقطوا فاقدى
الوعى ، دون أن تتطلق من منفع أحدهم رصاصة
واحدة ..

(منى) نفسها بنت ذاهلة ، وهى تحظى فى الرجال الثلاثة ،
قبل أن تنتقل إلى (أدهم) ، مغمغة فى انهيار .

- يا إلهى .. كيف ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، وهى تحظى فيه ، وقد شملتها
رجفة عجيبة ، من فرط الفعالية ، فى حين بدا هو قوياً
صارماً ، وهو يقول :

- لأول مرة فى حياتى ، كنت أتعلم لو أن قطع الخشب
هذه رصاصات قاتلة ، لأتسبب بها رجوس هؤلاء الأوغاد .

ظلت صامتة بضيق لحظات ، قبل أن تهتف فجأة بصوت
مبحوح :

- ولكن .. ولعلنا ما زلنا داخل زفازنة ، فى قبو
سفارتهم .

صمت لحظة ، ثم قال فى حزم :

- هذا يثبت أن الوسائل القديمة ما زالت صالحة يا عزيزتى ،
فى زمن التكنولوجيا وثورة الاتصالات .

سلته فى حيرة متوترة :

- أية وسائل قديمة ؟

أشار إلى خذانه ، قائلاً :

- هل لاحظت أننى ، وعلى عكس المعتاد ، أرتدى خذاء
له رباط سميك ؟

قالت فى اهتمام :

- هذا صحيح .. إنك لاتميل إلى الأحذية ذات الأربطة
فى المعتاد .

الحنى يحل رباطى خذانه ، وهو يقول :

- ولكن هذا الرباط ليس تقليدياً يا عزيزتى .. إنه إحدى
الوسائل ، التى ابتكرتها المخابرات البريطانية قديماً ، إبان
الحرب العالمية الثانية ..

واعطى يناولها أحد الرباطين « مستطرداً بإقتسامه
هائلة :

- إنه منشار قوى ، لو تم استخدامه على نحو جيد ،
فيستفى لقطع تلك القضبان الفولاذية ، خلال ثلاث دقائق
فحسب ..

صنعت عنهاها فى دهشة ، وهى تحظى فى الرباط ، الذى
تجهت لأول مرة ، إلى أنه معدنى خشن :

- هل صنع البريطانيون هذا بالفعل ، في الحرب العالمية الثانية^(*) ؟

أجابها ، وهو يدير رباطه المعنوي ، حول قمة أحد القضبان الفولاذية ، ثم يمسك طرفيه ، ويجذبهما في الاتجاهين ، في إيقاع منتظم :

- نعم .. لقد فعلوها ، ولكن لكل نسيها ، في غمرة قبهزهم بالتكنولوجيا الحديثة .

هتفت في حماسة ، وهي تصنع مثله ، في قاعدة القضيب نفسه :

- ويقولون : إن العامل البشري لم يعد أساسياً ، في عمل أجهزة المخابرات !!

أجابها ، وهو يواصل عمله في سرعة :

- إنني أخالفهم رأيهم هذا تماماً يا عزيزتي .

كان ذلك المتشاور المعنوي يؤدي عمله بكفاءة مذهشة ، ويلتهم قمة وقاعدة القضيب الفولاذي الطويل في سرعة بهرت (مني) ، و

« يا إلهي .. ماذا يحدث هنا ؟! »

(*) حبكة .

انطلق الهتاف فجأة ، من بين شفتي رجل أمن إسرائيلي آخر ، عند مدخل القبو ، عندما فوجئ برفاقه الثلاثة فاقدى الوعي ، ورأى ما يفعله (أداهم) و (مني) بالقضبان ، قبل أن يرفع قوة مدفعه الآلي نحوهما ، صالحاً بكل قوته ، عبر جهاز الاتصال الداخلي :

- التجدة يارفاق .. أريد إمدادات حالا ..

ودوت الرصاصات في قبو السفارة الإسرائيلية ..

بمنتهى العنف ..

* * *

كل ذرة في كيانها انقسمت ، أنها لم تر (أداهم) يعمل ، على هذا النحو من قبل قط ..

هكذا شعرت (مني) ، وهي تحدق في دهبول ، فيما فعله (أداهم) ، داخل قبو السفارة الإسرائيلية في (روما) ..

لقد رأت رجل الأمن الإسرائيلي يرفع قوة مدفعه الآلي نحوهما ، وتصورت أنها النهاية لا ريب ، وأن موقفهما الحالي لا يمنحهما أدنى أمل في الحياة ..

وعندما نقول : إنها قد تصوّرت هذا ، فنحن نشير هنا إلى نصف الحقيقة ، التي عمل خلالها عظيمها ، قبل أن يتحرك (أداهم) ..

بل إنها لم تدرك حتى متى تحرك !

أو كيف !

كل ما تذكره هو أنها سمعت صوتاً أشبه بفرقة مكتومة ،
ثم رأت (أدهم) يثب في الهواء كالطيط ، ويرتطم برجل الأمن
الإسرائيلي ، في نفس اللحظة التي ضغطت فيها سبابة هذا
الأخير زناد مدفعه ، لتتطلق رصاصاته في سقف القبو ..

وبعد ما رأت قبضة (أدهم) تسحق فك الرجل ، الذي
سقط أرضاً كالحجر ، في نفس اللحظة التي انقط فيها
(أدهم) مدفعه الآلي ، هاتفاً بها :

- أسرع .. لا بد أن تغادر بأقصى سرعة .

حنقت لثانية واحدة في أحد قضبان الزلزلة ، الملقى
أرضاً ، قبل أن تعبر الفراغ الذي خلفه سقوطه ، وتلتقط
مدفعاً آلياً بدورها ، هاتفة :

- كيف فعلت هذا ؟ !

أجبتها في سرعة وحزم :

- إنها ليست معجزة .. لقد كنا نوشك على شطعه ، وكل
ما فعلته هو أن دفعته بكفلي ، فأسقطت ما تبقى منه ..

هتفت بكل دهشة الدنيا :

- بكتفك ؟ !

صاح بها ، وهو يندفع خارج القبو :

- ليس هذا وقت الانبهار والذهشة يا (منى) .. لقد أطلق
ذلك القود الإثني ، قبل أن أخرسه ، وهذا يعني أنه لن تمضي
لحظات ، حتى يكتظ المكان بكل رجل أمن إسرائيلي هنا .

هتفت خلفه خارج القبو ، ولكن ما إن بلغا مخرجه ، حتى
انهالت عليهما الرصاصات من كل صوب ، فترجع (أدهم) ،
مغمماً :

- من الواضح أنهم يتحركون ، أسرع معاً نقصور .

سألته في انفعال :

- ماذا سنفعل الآن ؟ ! إنهم يحتجزوننا هنا ، وليس هناك
من مخرج سوى هذا ..

لتفنى حاجباه ، وهو يدرس المكان ، قبل أن يقول في حزم :

- في هذه الحالة ، سنغادر من هذا المخرج .

هتفت :

- وماذا عن رصاصاتهم ؟ !

استدار إليها ، مجيباً في صرامة :
- ما دامت الرصاصات إسرائيلية ، فلتستقبلها أجساد
إسرائيلية أيضاً .

أدركت ما يعنيه على الفور ..

وارتجف جسدها ..

ارتجف في قوة ..

في نفس اللحظة ، كانت (راشيل) تصرخ في غضب هائل :
- مستحيل ! لن نسمح لهم بالاتصال علينا على أرضنا ..
لا يمكن أن نسمح لهم بهذا يا فؤاد (دوريد) .. ليس كذلك !

لم يكن غضب (شيمون) يقل عن غضبها ، خاصة وهو
يسب نفسه ألف مرة ، لأنه لم يفعل ما أوصت به كل
دراساتهم ، ولم يقتل (آدم صبرى) فور رؤيته ..

لقد وقع في الخطأ نفسه ، وترك له فرصة للنجاة ..

وقع في أكبر خطأ ..

ولن يغفر لنفسه أبداً ..

ولكن طبيعته الاحترافية جعلته يبذل جهداً خرافياً ، للسيطرة
على أعصابه ومشاعره ، وتركيز أفكاره على الموقف الذي
يواجهه ..



صاح بها ، وهو يتدفع خارج القبر .
- ليس هذا وقت الاتيهار والذهشة يا (منى) ..

لا ينبغي أن يفقد الغضب حسن تقديره أبدا ..
أبدا ..

«ماذا ستفعل ، يا أدون (دوريل) ١٢ »

انزعته (راشيل) بسؤالها العصبى من لجة أفكاره ،
فالتفت إليها ، قائلاً فى برود أذنها وأحنقها :

- السؤال هو : ما الذى سيفعله هو ؟؟

صاحت مستكبرة :

- وهل ستترك له زمام المبادرة ؟؟

أجابها فى برود أكثر :

- نعم ..

اصمت عيناها ، وهى تحدق فيه بذهول ، قبل أن تتلوح
بمسدسها ، قائلة فى غلظة :

- لا أعتقد أننى سأحتمل هذا .

احتقن وجهه لحظة ، قبل أن يدير فوهة مسدسه ،
ويلصقها بصدغها ، قائلاً فى شراسة :

- فإيضاً لم أعد أحمّل هذا .. لم أحمّل الأغبياء والحمقى ،

الذين يفسدون خططى باستمرار .. لن أسمح لهم بأن
يصنعوا من حماقتهم حجر عثرة ، أمام تقدم (إسرائيل) .

انفض جسدها ، وهى تقول فى عصبية :

- أدون (دوريل) ، انتهى ..

قاطعها فى شراسة أكثر :

- حرف إضافى واحد ، وأضيف إلى جرحى وجهك ثقبين
جديدين فى صدغيك ، و ...

قاطعها صياح رجائه المفاجئ ، ودوى رصاصاتهم المتواصل ،
الذى شق سكون الليل فى المنطقة ، فلأر عينيه فى سرعة ،
إلى حيث تتجه رصاصاتهم ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ..

لما فعنه (أدهم) كان مذهناً بحق !!

لقد انطلق خارج القبو ، وهو يعمل أمام جسده الثين من
رجال أمن السفارة ، ليصنع منهما درعاً بشرية ، تتلقى
رصاصات زملائهما ..

ومن خلفه ، تدفعت (منى) ، وهى تطلق رصاصات مدفعها
الآلى ، فى كل صوب ..

ولم يتردد رجال أمن السفارة لحظة واحدة ، حتى مع
استخدام (أدهم) لزميليهما كدرع بشرى ..

وانطلقت رصاصاتهم بلا هوادة ..

ويلا رحمة ..

واخترقت الرصاصات جسدى رجلى الأمن ، اللذين انتفضا
فى عطف ، وتلجرت الدماء من مواضع شتى فيهما ، دون أن
يتوقف (أدهم) و (منى) عن العدو لحظة واحدة .. كان من
لواضح لهما قد وضعا خطة محدودة ، إذ اتجها مباشرة نحو
سيارة قوية رباعية الدفع ، تقف أمام مبنى السفارة مباشرة ..

وبكل توتر الدنيا ، هتفت (راشيل) :

- لا .. ليس هذه السيارة .

سألها (شيمون) فى برود عجيب ، ينفصل تمامًا عن
الواقع المحيط بهما :

- أهي سيارتك ؟

هتفت ، ملوحة بمندسها :

- بل هي سيارة طاقم الأمن ..

ولارتجت شفتاها بكل غضب وتفاعل الدنيا ، وهي تضيف :

- المصفحة .

اتعدت حليها فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتابع فى
اهتمام حركة (منى) ، التى بلغت السيارة ، ووثبت داخلها ،
وأدارت محركها بالفعل ، فى حين تراجع (أدهم) على نحو
مدرّوس ، وهو يواصل تلقى الرصاصات على جسدى رجلى
الأمن ، حتى بلغ الجانب الآخر من السيارة ، والذى دفعت (منى)
بإبه ، فدفع هو جثتى الرجلين ، ووثب إلى السيارة ، هاتفاً :

- فلننتقل .

قبل حتى أن يكتمل هاتفا ، كانت تضغط دواسة الوقود
بكل قوتها ، وتنطلق بالسيارة المصفحة ، عبر حديقة
السفارة ، ونحو بوابة مباشرة ..

ومن كل مكان ، انتهالت الرصاصات على السيارة ..

من مبنى السفارة ..

والحديقة ..

وعند البوابة ..

ولكن جسم السيارة المصفحة القوي تلقى الرصاصات ،
وأزاحها بعيداً ، و (منى) تنب بها ، لتحطم البوابة الكبيرة ،
ثم تنطلق خارجاً بأقصى سرعة ..

وفي غضب هائل ، هتكت (راشيل) :

- لقد هربا ، لقد نجحنا في الفرار .

ويكل بزود الدنيا ، ابتسم (شيمون) ، قليلاً :

- عظيم .

استدارت إليه بدهشة وانزعاج واستنكار ، ثم لم تلبث
دهشتها أن استحالَت إلى ذهول ، عندما اتسعت ابتسامته ..

ذهول بلا حدود .



٥ - الزمن الصعب ..

بمنتهى العنف ، اقتحم رجال مستر (X) شقة (أليوتو) ،
في قلب (روما) ، وانتشروا فيها في سرعة وبكفة ، يشعرون
إلى أنهم مخترفون في هذا المجال ، وفق قائلهم في صراحة :

- الزعيم لا يريد أحياء .. لا تترددوا في إطلاق النار .
على أي كائن حي هنا .

كانت أصابعهم متحفزة ثلماً ، على أزيدة مدافعهم بالفعول ،
وهم يتحركون في كل مكان ، بمنتهى الخفة والشراسة ، ثم
لم يلبث أحدهم أن توقف ، قليلاً :

- لا أحد هنا .

أدار قائلهم عينيه في المكان ، قبل أن يقول في حزم :

- بالتأكيد ..

ثم أخرج هاتفًا خاصًا للغاية من جيبه ، بجوى زرّين
فحصب ، وضغط أحدهما ، قبل أن يقول عبر الهاتف :

- المكان خال تمامًا يا مستر (X) .

أتاه ذلك الصوت ، المعدل إلكترونياً ، يقول برنينه
الآلى :

- كنت أتوقع هذا .. إنها أذكى من أن تبقى ، فى
مكان أعرف موقعه بالضبط .

سأله قائد الرجال :

- ماذا علينا أن نفعل إذن ؟!

لجابه الصوت الآلى فى حزم :

- ابقوا لحراسة المكان ، حتى يصل إليكم الفريق
الفنى الخاص .. أريد منهم أن يفحصوا كل شبر فيه ،
وأن يرفعوا البصمات عن جهاز الاتصال الخاص ،
فى حجرة مكتب (ألبرتو) .

اتجه القائد نحو حجرة (ألبرتو) مباشرة ، وهو يقول :

- كما تأمر يا مستر (X) .

كان بهم باغلق الهاتف .. عندما انتبه فجأة إلى أمر ما ،
جعله يهتف :
- مهلاً .

سأله مستر (X) فى توتر :

- ماذا هناك ؟!

أجابه القائد ، وهو يندفع داخل الحجرة :

- جهاز الاتصال الخاص ليس فى موضعه .. هناك
جهاز آخر .

حمل الصوت الآلى قلق مستر (X) ، وهو يتساءل :

- أى جهاز آخر ؟!

أجابه القائد ، وهو يتجه نحو الجهاز فى حذر :

- لست أرى .. يبدو وكأنه ..

بتر عبارته بقية ، وهو يحدق فى شاشة الجهاز ، التى
تحمل أرقاماً تنازلية ، ثم تنتقل بصره إلى الأسلاك
المتصلة به ، قبل أن يصرخ :

- قنبلة ! غادروا المكان بأقصى سرعة .

هتف مستر (X) فى دهشة :

- قنبلة ؟!

لم يسمع القائد هتافه ، وهو يعدو مع رجاله ، فى
محاولة لمغادرة المكان ، و ...

لنفجار هائل ، تم توزيعه بواسطة خبير محطك ، بحيث بدأ
عقد مداخل ومخارج المنزل ، ثم انتشر داخله ، فى سرعة
لا تكلى لفرار أى مخلوق من المكان ..

أى مخلوق ..

انفجار استغرق الثنتى عشرة ثانية فحسب ..

ثم اشتعلت النيران فى المكان كله ، دون أننى دليل على
نجاة فرد واحد من رجال مستر (X) ..

أما هذا الأخير ، فقد شعله غضب هائل ، وهو ينهى
الاتصال من جانيه ، قائلًا فى مقت هائل :

- إنها هي :

وعلى الرغم من أنه قد اكتفى بهذا القول ، إلا أن شيئًا ما
فى أعماقه أنباء بأن هذه الحرب تهدد كيانه كله بالخطر ..

أو ربما تتجاوز هذا ..

بكتير ..

٩٠٤

«لست أفهمك أبدًا يا دون (دوريل)» ..

هتفت (راشيل) بالعبارة ، فى عصبية بالغة ، استقبلها
(شيمون) ببرودة تشهير ، الذى استغله مرة أخرى ، وهو يقول :

- لو أن مثلك يمكنه فهمي ، لما كنت لى مكنتى الخاصة ،
فى صفوف (الموسد) يا عزيزتى .

قالت محقة :

- إنك لم تترك (أدم صبرى) يفر من المكان ، بسيارة
الأمن المصفحة فحسب ، ولكنك أيضًا كنت مبهتًا بهذا ..

قال باهتمام باردة كالثلج :

- لو أنك تطمين ما أظلمه ، لابتهجت بدورك يا (راشيل) ..

سألته فى عصبية :

- وما الذى تطلمه ؟

بدت لها برودته قاسية ، وهو يقول :

- ليس هذا من شأنك .

احتقن وجهها ، وهى تكرر مستفكرة :

- ليس من شأنى ؟

تراجع في مقعده ، قائلاً :

- نعم .. ليس من شأنك .

أتاه صوت غاضب ، يقول في حدة :

- وليس من شأنى أيضاً يا (شيمون) ؟

استدار (شيمون) في بظء إلى مصدر الصوت ، وهو يقول :

- نعم .. ليس من شأنك أيضاً يا (جراهام) ، فكلكما

ألحق ، إلى الحد الذى يمكن أن يفسد كل عملنا هنا .

صاح فيه (جراهام) ، وهو يندفع إلى الدخل فى غضب :

- اسمع يا (شيمون) .. لقد أطلقت على النار ، و ..

قاطعته (شيمون) فى صرامة :

- لا تضع الوقت يا (جراهام) .. الأفضل أن تحزم أنت

و (راشيل) خفافكما ، حتى يمكنكما اللحاق بالطائرة فى

الوقت المناسب .

انتفضت (راشيل) ، هاتفة :

- أية طائرة ؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة شامخة ، وهو يقول :

- الواقع أننى قد أبلغت الإدارة فى (تل أبيب) ، عن الفوضى

التي تحدث هنا ، وعن معوقات العمل ، والتصرفات الانفعالية

الحمقاء ، التي تفسد كل شيء ، فأصدر الرؤساء قراراً

بعودتكما ، أنت و (جراهام) ، إلى (تل أبيب) ، على متن

أول طائرة ، وتلك سيحين موعدها بعد ساعتين فحسب ،

ولقد حجزت لكما تذكرتين فى الدرجة الـ ... سياحية .

احتقن وجه (جراهام) ، وهو يهتف :

- أيها الـ ...

قاطعته (شيمون) ، فى صرامة متشفية ، قائلاً :

- الإدارة فوضتني أيضاً فى اعتقالكما ، ومحاكمةكما ، بل

وتنفيذ الحكم فيكما أيضاً ، لو رفضتما تنفيذ الأوامر

والانصياع لها ، باعتبار أننا فى مرحلة حرجة بالفعل ، من

مستقبل (إسرائيل) ، وأى خروج على الأوامر يمكن

اعتباره خيانة عظمى .

تبادل (جراهام) و (راشيل) نظرة غضب ، قبل أن تغتم

الآخيرة فى مقت :

- ولكنك وعدتني .

وبدلاً من أن يجيب سؤالها ، هتف (شيمون) فجأة :

- (موسى) -

لم يقد هتافه يكتمل ، حتى القحم للمكان الملحق
الصكري للسفارة ، بصحبة أربعة من رجال الأمن ، الذين
بدا عليهم تحفز واضح ، فأشار (شيمون) إلى (موسى) ،
قائلاً في صرامة امرأة :

- يبدو أن السيد (جراهام) ، والسيدة (رائسيل) ، يحتاجان
إلى من يساعدهما على حزم حقائبهما ، ومن يوصلهما
إلى المطار .. تحفظ على أسلحتهما ، حتى لا تكشفها
البوابات الإلكترونية هناك ، وساعدهما على استكمال
ما ينقصهما .

ثم شد قائمته ، مضيقاً بصرامة أكثر :

- المهم ألا أراهما بعد الآن .

بدا (موسى) متشفياً ، وهو يتسم . قائلاً :

- كما تلمز يا أدون (دوريل) .

احتكن وجه (جراهام) أكثر ، فغمغم في مفت :

- سنلتقي مرة أخرى يا (شيمون) .

أشاح (شيمون) ، بوجهه ، متجاهلاً إياه تماماً ، ففى
حين قالت (رائسيل) فى حدة :

- لن أنسى هذا ما حبيت .

أجابها (شيمون) ، دون أن يلتفت إليها :

- عظيم .

أخفى (موسى) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول ، فى
احترام زائف :

- سيدة (رائسيل) .. سيد (جراهام) .. أعتقد أنه ينبغي
أن تتحرك فوراً .

كان كلامهما يشعان بغضب لا محدود ، إلا أنهما لم يملكا
سوى الاتصاف للأمر ، فغادرا الحجرة فى استسلام ساخط ،
يتبعهما رجال الأمن المسلحون ، فى حين يقى الملحق
الصكري داخل الحجرة ، ولاذ بالصمت التام ، حتى سألته
(شيمون) ، دون أن يواجهه :

- هل أخذت كل شيء ؟

أجابها (موسى) فى احترام :

- اطعن يا أدون (دوريل) .. سيارتهما لن تصل أبداً

إلى المطار ، ولن يصبح باستطاعتها تقديم أية شكوى
ضده في (تل أبيب) ..

صمت (شيمون) بضع لحظات ، قبل أن يقول في
ازدراء :

- إنهما يستحقان هذا .. لقد أفسدا بحماقتهما كل شيء .
غمغم (موشي) :

- بالتأكيد يا أدون (دوريل) .. بالتأكيد ..

عاد (شيمون) إلى صمته ، بضع لحظات أخرى ، قبل
أن يقول :

- بالسذاجتهما !! لقد صدقا ما أخبرتهما به ، ونصورا
أن الإدارة هي التي طلبت عونتهما إلى (تل أبيب) .
ابتسم (موشي) ، قائلاً :

- وصدقاً أنه هناك ظفيرة ستقلنهما إلى هناك بالفعل .
مط (شيمون) شفطيه ، قائلاً :

- ألم أقل لك : إنهما يستحقان ما سيصيبهما ؟
ثم استدار إليه فجأة ، متسائلاً :

- دعنا منهما الآن ، وأخبرني .. هل تعاون الأمريكيون
معنا ، بشأن عملية المتابعة بالانقمار الصناعية ؟

أجاب (موشي) في سرعة :

- بالتأكيد يا أدون (دوريل) .. لقد تتبعوا سيارة الأمن
الخاصة بنا ، عن طريق جهاز الرصد الخاص ، الذي
زودناها به مؤخراً ، ورصدوا (أدهم صبرى) وزميلته ،
وهما يغادرتها ، على مسافة أربعة شوارع من هنا ، ثم
ينتقلان إلى سيارة إيطالية ، كانت في انتظارهما ، على
مقربة من هنا .

غمغم (شيمون) في اهتمام :

- إنه أحد رجال مكتبهم هنا حتماً .

تابع (موشي) ، دون أن يتوقف عن التعليق :

- تلك السيارة الإيطالية نقلتهما إلى شارع (دافنشي) ،
على أطراف (روما) ، ولقد استقرا هناك ، مما يوحي بأن
هذا هو منزلهما الآمن هنا .

تألفت عينا (شيمون) ، وهو يغمغم :

- عظيم .. عظيم ..

التقط الملحق العسكرى نفساً صيقاً ، قبل أن يقول فى حلسة :

- يمكننا أن ننتفض عليهما الآن ، فى أية لحظة .

مط (شيمون) شفتيه ، قتلأ :

- يا للخسارة ! كنت أظنك أكثر ذكاء من الآخرين ..

ارتبك الملحق العسكرى ، وهو يقول فى توتر :

- هل .. هل أخطأت يا أدون (دوريل) ؟

قال (شيمون) فى هدوء :

- كلا .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكنك تفكر بنفس الأسلوب التقليدى النمطى ، الذى

يفكر به الجميع .

تضاحف ارتبك الملحق العسكرى ، وهو يقول :

- تصورت أن خطفا الرئيسى هو القضاء على (أدوم صبرى) .

هز (شيمون) رأسه تقياً ، وقال فى بطء حازم :

- بل خطفا الرئيسى الآن هو استعادة صور وثقتنا السرية

يا رجل

ثم تكلت عيناه ، وحملت شفاته بسلامة غامضة ، وهو يضيف :

- ومن أجل هذا الهدف ، سأفعل شيئاً لم يخطر ببال أى

رجل (موساد) قط .

وزداد تألق عينيه ، مع استطرادته :

- سأضرم (أدوم صبرى) إلى صفوفنا .

وانتفض جسد الملحق العسكرى ، من فرط الدهشة والذعر ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

بل وكادتا تثبان من محجزيهما ..

فما قاله (شيمون) لم يكن فقط غريباً ومستكبراً ..

بل كان أقرب إلى الجنون ..

الجنون المطبق ..

على الرغم من وجودهما داخل ذلك المنزل الآمن ، فى

شارع (دافنشى) ، على أطراف (روما) ، لأكثر من ساعة

كاملة ، لم تتبادل (منى) كلمة واحدة مع (أدوم) ، الذى جلس

صامتاً أمام النافذة ، كعادته كلما استغرق فى تفكير عميق ،

أو سعى للاسترخاء التام ، قبل الإقدام على خطوة كبيرة ..

وعلى الرغم من أنه كان يوليها ظهره ، إلا أن شيئاً ما
فى أعماقها جعلها تدرك أنه حزين ..

حزين إلى حد كبير ..

ولقد ترددت طويلاً ، قبل أن تقترب منه على أطراف
أصابعها ، وتدور حول مقعده ، لتهمس :

- هل أعذ لك قنحاً من الشاي ؟

رفع إليها عينيه فى ببطء ، فانفطر قلبها ، قبل أن يهوى
بين قديمها فى ارتياح ولوعة ..

نعم .. إنه حزين ..

بل ولم تره قط بهذا القدر من الحزن ..

حزن قوى عميق ، غاص فى عينيه ، وسبح فى وجدانه ،
وظفا على كل خلجة من خلجاته ..

وبكل لوصتها ، هتفت :

- ماذا بك ؟

حاول أن يتنسم ، (إلا أن ابتسامته خالته هذه المرة ، وهو
يقول :

- نعم .. هذا هو السؤال .. ماذا بى ؟

ثم تراجع فى مقعده ، مستطرداً فى مرارة :

- ما الذى فعله بى هؤلاء الأوغاد ، حتى دفعونى إلى نبذ
كل مبادئى ، وإراقة دماهم على هذا النحو ،

ربكت على شعره فى حنان ، قللة :

- كانوا يستحقون هذا .. لقد قتلوا (أشرف) و (عماد)
بلا رحمة .

قال فى أسى :

- هذا دأبهم .

وصعت لحظة ، قبل أن يضيف :

- وليس دأبنا .

غصمت فى حنان ، محاولة تهدئة مشاعره :

- هكذا الحروب دوماً ، تدفعك إلى فعل ما تكرهه ، حتى
تظفر بما تستحق .

زفر فى مرارة ، متمتماً :

- نعم .. هكذا الحروب .

قالتها ، وشره ببصره بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى
أسف :

- منذ نعومة أظفاري ، علمني والدي (رحمه الله) ، أنه
حتى للحروب قواعد ، إما أن يلتزم بها المرء ، ليكون مقاتلاً
شريفاً ، أو يتجاهلها ، ليصبح مجرد همجى ، يريق الدماء ،
دون هدف ، أم مبدأ أو عقيدة .

تمكنت ، وهي تمسح شعره بيدها :

- كل ما فعلناه كان حتمياً ، والضرورات تبيح المحظورات .
غمغم :

- أعلم هذا .

وصمت لحظة ، ثم تابع في أنسى :

- المشكلة أنني كنت أفعل هذا عن اقتناع تام .. بل وكنت
أرغب في تكبيدهم المزيد أيضاً .
زفر مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

- هؤلاء الأوغاد استباحوا دماغنا ، ويسعون للقضاء على
كل ما هو عربي ، متجاهلين كل القواعد السياسية ، والقانونية ،
والشرعية ، وحتى الأمية ، ولقد رأيت بنفسك كيف لم يبالوا
بشغال حرب محدودة داخل سفارتهم ، وكأنما ملكوا العالم
كله ، أو تسيّدوه ، ولم يعد يخفيهم كيف تسيّر الأمور ،

ما داموا يحققون أهدافهم الحقيرة في النهاية ، لذا فقد
شعرت نحوهم هذه المرة بمقت و غضب بلا حدود ، وتمليت
لو أزلتهم جميعاً من الوجود .

تراجعت ، متمتعة :

- يا إلهي ! إنها أول مرة اسمعك تتحدث فيها ، بكل هذا
المقت .

هز رأسه ، قاللاً :

- لقد تجاوزوا الحدود هذه المرة يا (منى) .. كل الحلول
وضاقت عيانه في صرامة غاضبة ، وهو يضيف :

- ولا بد أن يدفعوا الثمن .

لم تجد ما تقوله ، لتخفف انفعاله ، أو تزيل حزنه ،
فمسحت بيدها شعره مرة أخرى ، في حنان جارف ، دون
أن تلبس بينت شفة ..

ولنلقاق مسيح ، شملهم صمت مهيب ، وهو شارو ببصره
عبر النافذة ، قبل أن يقول فجأة :

- هل شاعنت سطح منى (روتشيلد) بنفسك ؟

أومأت برأسها ، مجيبة :

- نعم .. ذهبت مع (أشرف) رحمه الله ، وفحصناه جيّداً ،
ولكننا لم نجد شيئاً .

بدا عليه الاهتمام الشديد ، وهو يقول :

- أين أخفى (عماد) البطاقة الإلكترونية إذن .

هزت رأسها ، قائلة :

- إبنى ألقى على نفسي هذا السؤال ألف مرة ، فى كل يوم ..

لأن بالصمت لدقيقة أخرى ، ثم قال ، وكأنه يحدث نفسه :

- السبيل الوحيد إلى معرفة الجواب هى أن يضع المرء
نفسه فى مكان (عماد) .

لم تحاول مقاطعته ، عندما غرق مرة أخرى ، فى بحر
من الصمت والتفكير ، وإنما اكتفت بالتطلع إليه ، وفى
رأسها يدور ألف سؤال وسؤال ، حتى قطع هو كل
تساؤلاتها ، وهو يعتدل ، قائلًا :

- أريد معرفة كافة تفاصيل عملية (الأوراق السرية)
منذ بدايتها .

ثم نهض من مقعده ، وتابع ، وهو يتحرك فى الحجرة
بنشاط جم :



لم تجد ما تقول ، لتشتتب الفعالة ، أو تزيل حزنه ، فاستمرت
بدها شعوره مرة أخرى ، فى حنان جوارف ..

- ولما أعنى هنا كافة التفاصيل الدقيقة .. ماذا كان (عماد)
(رحمه الله) يحمل معه ؟ وكيف بلغ السطح ؟؟ ومتى ؟؟
وكم استغرق ثوقه ، قبل أن يقتحمه رجال حراسة مستشار
الأسن القومى الإسرائيلى فى (روما) .. كل شيء
يا (منى) .. كل شيء .

أجابته فى حماسة . وهى تلتقط حقيبتها :

- عذرى هنا تقرير متكامل ، يحوى كل التفاصيل .

فلقتها . وأخرجت التقرير من حقيبتها ، وناولته إياه ، فلتقطه
بسرعة ، وراح يظالعه فى اهتمام ، فسألته فى حثان :

- ماذا عن قدح الشاي ؟؟

أجابها فى سرعة :

- لا بأس .. لا بأس .

ثم يشعر حتى باتصرفها ، وهو منهمك بكيته كله ، فى
مراجعة كافة تفاصيل عملية (الأوراق السرية) ، كما
وردت فى تقرير المخابرات المصرى ..

راجع كل ما كان يحمله (عماد) ..

وخريطة المبني ..

وخرائط المنطقة كلها ..

وخذ موقع هبوط (عماد) ، على سطح بناية (روتشلد) ..

وموقع فراره منها ..

والفترة التى قضاها هناك ..

راجع كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

وفى هدوء ، ودون أن تحاول مقاطعته ، أو تشتيت تفكيره ،

وضعت (منى) قدح الشاي إلى جواره ، واتخذت مقعداً قريباً ،

وراحت تراقبه فى اهتمام بالغ ..

رأته يراجع الملف كله مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم شامتته بسبل جفنيه ، ويمسك رأسه إلى ظهر مقعده ،

ثم يسترخى تماماً فى مجلسه ، ويطلق لتفكيره العنان ..

كان يتعمق تعاماً شخصية (عماد) ..

أو يحاول هذا على الأكل ..

وكانت لديه موهبة مدهشة فى هذا الشأن ..

موجبة جعلته يرى نفسه فوق البناية الوحيدة ، التي تعلو
بناية (روتشيلد) ، وهو يطلق ذلك السهم القصير ، الذي
حمل السلك القوي ، الذي انزلق فوقه ، حتى سطح المبنى ..
وتتابعت الأحداث في ذهنه ، وكأنه يعرض فيلمًا خياليًا ،
لكل ما فعله (عماد) هناك ، حتى الكشف أمره ..
وبدأت المطاردة ..

وعند هذه المرحلة ، شحذ (أدهم) كل تفكيره وإنتباهه ..
(عماد) صعد إلى السطح ، ومعه الأوراق السرية ..
ولأنه خشى أن يستعيدوا الإسرائيليون ، أخرج آلة التصوير
الرقمية ، والتقط صور الوثائق الإسرائيلية ..
ثم التزم بطاقة الصور الرقمية ..
و

وهنا توقف (أدهم) ، وراح يشحذ تفكيره أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..

ماذا يمكن أن يفعل هو ، في موقف معاكس ؟؟

أي مكان يمكن أن يخفى فيه البطاقة ، دون أن يعثر
عليها الإسرائيليون ؟؟
أين يمكن أن يضعها ، بحيث يمكنه استعادتها ، لونها
من مثل هذا الموقف ؟؟

أين ؟؟

أين ؟؟

أين ؟؟

استعاد ذهنه في لحظة موقع (عماد) ..

وأسلحته ..

وزاوية هروبه ..

وخريطة السطح ..

والمنطقة ..

و

« وجنتها .. »

هتف بالكلمة فجأة ، وهو يعتدل في مجلسه بحركة حادة ،
جعلت جسده (منى) ينتفض ، وهي تهتف بدورها :
- وجنتها ؟؟

غلب من مجلسه ، وأمسك فتفيتها ، قتلأ قى حزم ،
ووجهه يحمل ابتسامة ظالفة كبيرة :

- نعم .. وجدتها يا عزيزى (منى) .. حرقت أين أخفى
(عماد) (رحمه الله) تلك البطاقة الرقيقة ..

هتفت فى قهقار :

- حقاً ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- كانت لمحة عبقرية منه بحق ، على الرغم من
بساطتها ..

هتفت بكل انفعالها ولهفتها :

- أين أخفاها ؟ أين أخفى تلك البطاقة الصغيرة ؟

ولم يكذ (لأهم) يخبرها ، حتى اتسعت عيناها عن
آخرها ، وخفق قلبها فى التيهار كامل ..

فما كشفه (لأهم) كان مدهشاً ..

مدهشاً بحق ..

وبكل المقاييس ..

* * *

٦ - السر ..

« من المستحيل أن تكون (سونيا جراحام) ! » ..

نطق المندوب الفرنسى ، لمنظمة (X) الإجرامية العنصرية ،
بمنتهى الحزم والحسم ، عبر قساة الاتصال الخاصة المؤمنة ،
وبدا واثقاً للغاية ، وهو يضيف :

- لقد راجعت التحقيقات ، التى تبعت مصرعها ، خطوة
فخطوة ، وبمنتهى الدقة ، وتيقنت بنفسى من أن قبلتنا قد
نسفتها نسفاً^{١*} .

قال مستر (X) فى توتر :

- مع امرأة مثل (سونيا) ، لا يمكنك أن تشق بأى
شىء ..

هزّ المندوب الفرنسى رأسه ، قتلأ :

- مستحيل يا مستر (X) !! هناك أمور حاسمة تماماً ،
فى مثل هذه الأمور ..

(*) راجع قصة (الأبطال) .. المظفرة رقم (١٣٥) .

سأله في (اهتمام) :

- مثل ماذا ؟

أجابه الرجل في سرعة :

- نتائج فحص الأشلاء ، التي تخلفت عن الانفجار .. لقد
كنت تتوافق كلها مع البصمة الجينية لـ (سونيا جراهام) ،
وهذا أمر لا يمكن تزيفه أو تزويره .

اعتدل مستر (X) ، وهو يسأله في حزم :

- وهل تيقنت من هذه النتائج بنفسك ؟ أعنى ألا يمكن
أن نحصل على نتائج غير حقيقية ، عن طريق رشوة
الفنيين مثلاً ؟

ابتسم المندوب الفرنسي ، قائلاً :

- هذا أول ما خطر ببالي ، لذا فقد حاصرت الفنيين ورجال
المعامل طوال الوقت ، ونشرت رجالى في كل مكان ، واعتدلت
على أكثر من شخص ، وأكثر من جهة ، لتأكيد كل معلومة ترد ،
بحيث لم تعد لدى ذرة واحدة من الشك ، في صحة النتائج .

تنهّد مستر (X) ، ممتعاً :

- مازلت أقصاع .

هز المندوب الفرنسي رأسه مرة أخرى ، وهو يقول :

- يمكنك أن تتأكد بنفسك يا مستر (X) ، فالشرطة الفرنسية
مازلت تحتفظ ببعض الأشلاء ، المتخلفة عن حادث الانفجار ،
كما ينص قانونها ، والبصمة الجينية لـ (سونيا) ، محفوظة
في (الموسلا) ، وهناك عينة منها ، تم إرسالها إلى هنا .
سأله في سرعة :

- ألا يمكن العبث بتلك العينة ؟

تراجع الفرنسي ، متسائلاً :

- وكيف هذا ؟

أجابه مستر (X) في صرامة :

- هناك عدة وسائل لهذا ، فرحلتها من (إسرائيل) إلى
(فرنسا) ، تحمل عشرات الاحتمالات ، لاستبدالها ، أو تغيير
بياناتها .

ابتسم الفرنسي ، قائلاً في ثقة :

- مستحيل يا مستر (X) ، فالعينة يتم إرسالها تحت
حراسة قوية ، وبوجود مندوب إسرائيلي ، وآخر فرنسي .

زمر مستر (X) ، قائلاً :

- كل هذا يمكن تجاوزه .

قال المندوب الفرنسي ، مشيراً بيده :

- الإسراييليون والفرنسيون أيضاً خشوا هذا ، لذا فقد تم إرسال بيشات العينة ، عبر ثلاث رسائل مختلفة ، منها البريد السريع ، والبريد المباشر ، بحيث يمكن مطابقتها على العينة التي ستصل .

صعدت مستر (X) طويلاً هذه المرة ، وهو يدير الأمر في رأسه كثيراً ، قبل أن يقول في حزم :

- فليكن .. أريد أن أرجع كل هذا مرة أخرى .

تسأل الفرنسي في حيرة :

- ولماذا ؟

أجاب في صرامة :

- لا تأكد بنفسى ، كما نصحتنى .

أوماً الفرنسي برأسه ، وقال في حماسة :

- هذا الضل بالتأكيد يا مستر (X) .. سأحصل على تنفيذ أوامرك فوراً ، ودون إبطاء .

غمغم مستر (X) في صرامة :

- فليكن .

نطقها ، وهو يضغط زر إنهاء الاتصال ، قبل أن يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ويفرق في تفكير صيق ..

مستحيل ألا تكون هي !!

مستحيل !

مستحيل !

ذهنه لا ينتخب سواها ، للقيام بما حدث حتى الآن ..

وحدها تمتلك الجرأة والقدرة على تحديه ..

وحدها ..

ولكن كل شيء يؤكد أنها قد لقيت مصرعها ، في انفجار سيارتها في (باريس) ..

كل شيء ..

وهناك دلائل ونتائج لا تقبل الشك ..

وكلها تؤكد أنها قد ماتت ..

انتهت ..

ففتيت إلى الأبد ..

وهذا لا يتفق مع تحليله للأحداث ..

لا يتفق معه أبداً ..

وإذاً اعتقاد حاجبيه ، وهو يعيد ترتيب الأحداث مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وتضاحفت حيرته ألف مرة ..

إنها هي ..

حتمًا هي ..

ثم فجأة ، وثب خاطر مخيف إلى ذهنه ..

ماذا لو أن عقله وحده هو الذي صنع كل هذا ؟؟

ماذا لو أنه أسقط الموقف كله على (سونيا جراهام) ،

على الرغم من تأكيدات مصرعها القوية ، لمجرد أنه لم

يجد أخرى تناسب ما حدث ؟؟

إبه احتمال وارد ..

وبإله من احتمال !

فطلى الرغم من أنه يبدو أكثر منطقية ، من عودة
(سونيا جراهام) إلى الحياة مرة أخرى ، إلا أنه يزيد
للموقف كله صعوبة وتعقيداً ..

فلو أنها ليست (سونيا) ، فمن تكون ؟؟

من ؟؟

من ؟؟

بل ، والأكثر خطورة أنها لو لم تكن (سونيا) ، فهي
حتمًا امرأة أخرى ، لا تقل عنها خطورة ..

ولكنها تمتلك مزية مخيفة ..

أن أحدًا لن يمكنه أن يتوقع خطواتها التالية ..

لا أحد على الإطلاق ..

ويكلم توتر الدنيا ، اعتدل في مقعده ، وسؤال رهيب يسيطر
على كيانه كله بلا هوادة ..

لوقها ليست (سونيا) ، فكيف ومتى ستكون ضربتها القلعة ؟؟

كيف ؟؟

ومتى ؟؟

* * *

راجع مدير المخابرات المصرية شخصياً ، تلك التقارير
للعاجلة ، الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية ، قبل أن
يرفع رأسه إلى مساعده الأول ، قائلًا :

- تمامًا كما كنا نتوقع .. الأمريكيون يتعاونون مع
الإسرائيليين بلا حدود .

واقفه مساعده بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- لقد استخدم الأمريكيون قنصل التجسس لصناعية ، لمتابعة
سيادة السيد (آدم) ، والمقيم (منى) ، حتى ذلك المنزل
الآمن ، في أطراف (روما) .

تراجع المدير في مقعده ، وبدا شديد الاهتمام ، وهو
يقول :

- إذن فالإسرائيليون يعلمون الآن موقع المنزل الآمن .

أوما المساعده برأسه مرة أخرى ، قائلًا :

- يعلمون منذ ما يزيد على الساعة ، كما أبلغنا عميلنا في
(واشنطن) ياسيدى -

غرق المدير في التفكير بضع لحظات ، قبل أن يشير
بيده ، قائلًا ، وكأنه يحدث نفسه :

- وعلى الرغم من هذا ، فهم لم يحاولوا مهاجمة المكان
قط .. عجبًا !! هذا لا يبدو لى منطقيًا !

تردد المساعده بضع لحظات ، قبل أن يقول ، فى شيء
من الحذر :

- يبدو أنهم ينتظرون التوقيت المناسب .

غمغم المدير فى اقتضاب :

- ربما .

ثم نهض من مقعده ، وملامحه تشفى عن التفكير العميق ،
واتجه نحو نافذة حجرته ، كعادته كلما أراد أن يستجمع
أفكاره ، أو يرتب معلوماته ، وظل صامتًا هناك لدقيقة كاملة
أو يزيد ، قبل أن يقول :

- أو أن لهم هدفًا آخر .

سأله مساعده فى اهتمام :

- أى هدف يا سيدى ؟

استغرق المدير فى التفكير ، لبضع لحظات أخرى ، ثم
قال ، محاولاً ترتيب أفكاره :

- فى كل الأحوال ، لا بد من تحذير (ن - ١) ، بآية

وسيلة كانت ، حتى يدرك ما يدبرونه له ، ولكن معرفتهم لموقعه تعنى أنهم قد استخدموا كل تكنولوجيا أمريكية متاحة لديهم ، لمحاصرته تماماً ، والسيطرة على كل اتصالاته .. إنهم حتماً يراقبون هاتف المنزل الآمن ، ويضعون أجهزة لالتقاط الموجات الرقمية لأى هاتف محمول بالمنطقة ، ولن يمكننا إرسال عميل خاص ، دون أن يكشفوا أمره .

واستدار إلى مساعده ، مستظرفاً :

- كيف يمكننا الاتصال به وتحذيره إن؟

ران أصمت فى المكان لفترة طويلة نسبياً ، وكلاهما يفتقر ذهنه ، للبحث عن وسيلة ما ، و ..

« وماذا عن الوسائل القديمة ؟ » ..

نطقها المساعد فى اهتمام ، جعل المدير يسأله فى سرعة :

- أية وسائل ؟

أجاب المساعد فى حماسة :

- قديماً ، وإبان حرب السلاسل من أكتوبر ، عام ١٩٧٣ ، كان لنا عميل فى (سيناء) ، نجد صعوبة فى الاتصال به ،

فابتكرنا وسيلة صوتية ممتازة ، لا تعتمد على استخدام نبضات وإشارات (موريس) المعقدة^(*) ، وإنما تستخدم الألوان وتتابعها ، مثلاً يستخدم رجال البحر الأعلام المختلفة ، لإعلان حالة سفنهم ، ولقد نجح أسلوبنا هذا تماماً ، وأصبح باستطاعة عميلنا فى (سيناء) ، أن ييلقنا على التفاصيل ، بواسطة قطع من الورق الملون الشفاف ، بمنتهى الدقة ، ودون أن يكشف الإسرائيليون أمره أبداً ..^(**)

التقى حاجباً المدير ، وهو يقول :

- الإسرائيليون متابعون جيدون للتاريخ .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- ولكننا لن نضيع هذه الفرصة .. هيا .. اعزل على تنفيذها فوراً .

أسرع المساعد ، لاتخاذ التدابير اللازمة ، لتنفيذ العملية فوراً ، فى حين بقى المدير فى مكتبه ، أمام نافذته ، وعقله مازال يستعيد السؤال الأول ..

(*) إشارات موريس : نبضات صوتية أو ضوئية خاصة ، تعتمد على نظام تلقى ، يتكون من تقاطع وتشريط ، تستخدم للاتصال على مسافات بعيدة ، وهى أسهل لغة كتفهم ، ومزات تستخدم بهراً ، فى حالة خطر أجهزة الاستسنى .
(**) عالية عشقية .

منازلهم الإسرائيليون قد حددوا بالفعل موقع (متى)
(أدهم) فلماذا لم يهاجموا ١٢

لماذا ١٣

لماذا ١٤

وقى أعرق أعماقه ، راح الجواب يتكوّن فى بطنه ،
ويتضح أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والواقع أنه كان جواباً خطيراً ..

خطيراً للغاية ..

* * *

« (أدهم صبرى) وزميلته غداً فلك المنزل الآمن .. »

نطق الملحق العسكرى الإسرائيلى العبارة فى حماسة ،
فتراجع (شيمون) فى مقعده ، متسائلاً :

- أما زال الأمريكيون يتبعونهما ، بواسطة أقمارهم
الصناعية ١٢

١٣٦

أوما الملحق العسكرى برأسه ، مجيباً :

- بلى يا أدون (دوريل) .. لقد نفقنا أوامرنا بالضبط ،
ولم نرسل أحداً لمتابعتهم ، حتى لا يكشف أمره ، ولكننا نتابع
تحركاتهما خطوة بخطوة ، بواسطة الأقمار الصناعية
الأمريكية .

هزّ (شيمون) رأسه ، مغمغماً فى تفكير عميق :

- عظيم .. عظيم ..

تردّد الملحق العسكرى بضع لحظات ، قبل أن يسأله فى
سخرية :

- إلى أين تعتقد أنهما سيذهبان يا سيدى ١٢

غرق (شيمون) فى التفكير بضع لحظات ، ثم لم يلبث
أن أجاب ، فى بطنه حذر :

- لو أن (أدهم صبرى) مثلاً يحتفظ بمواهبه المعروفة ،
فمن الأرجح أنهما فى طريقهما الآن إلى الهدف ..

وأدار عينيه إلى الملحق العسكرى ، مضيقاً :

- إلى حيث بطاقة التسجيل الرقمية .

١٣٧

قال الملحق العسكري في البهار :

- هل تعتقد أنهما قد توصلا إلى مكائهما بالفعل ياسيدى !!

كان السؤال ينطوى على مقارنة خفية ، بين عقله هو ، وعقل (أدهم) ، حتى ولو لم ينتبه الملحق العسكري إلى هذا ، لذا فقد أجابه (شيمون) في صرامة قاسية ، باردة كالثلج :

- إنهما مصريان ، ويمكثهما فهم ما فعله زميلهما ، وأكثر مما يمكننا هذا .

قال الملحق العسكري في دهشة :

- عجباً ! كنت أتصور أن أحد أهم قواعد (الموساد) ، هي أن تعرف المصريين ، بأكثر مما يعرفون أنفسهم !

تضاعف غضب (شيمون) في أعماقه ، مما جعله يقول في غلظة :

- هل مستلح العلية ، أم قلنا سنضيع الوقت في محاضرات سخيفة ، عن قواعد العمل في (الموساد) !!

انتبه الملحق العسكري ضئلاً إلى الموقف ، فشد قامته ، وقال في سرعة واحترام وتوتر :

- أوامرك يا أدون (دوريل) ..

اعتدل (شيمون) ، مجيباً في صرامة :

- اعمل على وجود اتصال مستمر مع الأمريكيين ، وحاول أن تربطنا بصور رادارهم ، عبر شبكة الإنترنت ؛ لأننى أريد تحركاً فورياً سريعاً ، فور عثورهما على البطاقة .

هتف الملحق العسكري في حماسة :

- وعندما يجدونها ، لنقض عليهما ، ونلتزعا منها ، و ...

قاطعه (شيمون) في غضب :

- خطأ .

ثم استدار إليه ، مستظرفاً في صرامة شديدة :

- ألم أقل لك أنك تفكر بأسلوب نمطى !!

ارتبك الملحق العسكري ، وهو يقول :

- إتينا لن نتركها لهم .. أليس كذلك !!

أجابه (شيمون) :

- ولن نقاتل لانتزاعها منهما أيضاً يا رجل .. إن نجازف بمواجهة غير مضمونة النتائج ، مع رجل مثل (أدهم صبرى) .

قال الملحق العسكري في توتر :

- يمكننا أن نرسل جيشنا من الـ ..

قاطعه (شيمون) في غضب صارم :

- وهل تعتقد أن هذا سيوقفه ؟

قال الملحق العسكري ، وقد بلغ توتره ذروته :

- إنني أتحدث عن جيش .

هتف به (شيمون) ، وهو ينهض من مقعده ، في حركة حادة :

- ذلك الرجل عاد على الفور ، من مواجهة هزم خلالها جيشنا بأكمله بالفعل^(*) .

انتفض جسد الملحق العسكري ، وهو يهتف في ذهول :

- مستحيل !

لوح (شيمون) بيده ، قائلاً في حق :

- مستحيل بالنسبة لأي شخص عادي ، ولكنه شخص غير

عادي .. شخص يفوق كل من عرفته في حياتك .. شخص

قادر على قهر المستحيل ، في عالم الواقع ، وليس على

شاشات السينما .

(*) راجع قصة (رجل .. وجيش) .. لفقرة رقم (١١٢) .

تمتم الملحق العسكري ، بأنفاس مبهورة :

- ليس من السهل أن يصدق المرء وجود شخص كهذا ،

في عالم الواقع -

مط (شيمون) شفثيه ، وهو يقول في مقت :

- لهذا يعثرون أسطورة .

ثم التفت إلى الملحق العسكري ، مضيقاً في شراسة :

- أسطورة سابقة .

بذت الحيرة على وجه الرجل ، وهو يتسائل :

- ولكننا لن نواجهه .. أليس كذلك ؟

أجابته في حزم :

- لمواجهة لم تفلح قط في هزيمته .. الأسلوب الأمثل ، من

وجهة نظري ، هي أن نياغته ، من حيث لا يمكن أن يتوقع -

سأله الرجل في فضول شديد :

- من أين ؟

أشار (شيمون) بسبابته إلى أعلى ، قائلاً في سرعة :

- من السماء .

أطلقت دهشة حائرة ، من عيني الملحق العسكري ، فعد
(شيمون) عليه خلف ظهره ، وهو يتابع :

- اعزل على إعداد هليكوبتر ، مزودة بكاتم للصوت ،
وقاذف صواريخ مزدوج ، ودعها تحلق قريباً من مبنى
مستشارتنا للأمن القومي هنا ، بحيث يمكنها أن تتدخل
فوراً ، بإشارة واحدة مني .

خلف الملحق العسكري في النهار :

- هل ستتسلفهما ؟!

أجابته في حزم :

- متأسف المنطقة كلها ، لو لزم الأمر .

سأله في قلق :

- وماذا عن بطاقة التصوير الرقمية ؟! لو نسفتها لن
يمكننا استعادتها أبداً .

ابتسم (شيمون) في سخرية ، قائلاً :

- استعادتها ؟! يا للسذاجة ! من الواضح أن ضيق عقولكم
قد أساكم الهدف الحقيقي بأرجل .. إننا لا نسعى لاستعادة
تلك البطاقة ، وإنما نسعى لمنع المصريين من الحصول

عليها فحسب ، وعندما يحصلان عليها ، وتسلمهما نحن
معاً ، نكون قد أحرزنا هدفين بضربة واحدة .. تخلصنا من
البطاقة ، وسحقنا أسطورة المخابرات ..

قلها ، وأقن بروده فشير خلف ظهره ، ليطلق ضحكة عالية ..
ضحكة حملت كل الشماتة ..
وكل الوحشية ..

كلها ..

ولكن ضحكته الظفيرة القوية هذه لم تكتمل على نحو مرضيه ..
ف فجأة ، اندفع أحد رجال الملاحقة العسكرية إلى المكان ،
وهو يهتف بأنفاس لاهثة ، من فرط الانفعال :

- الأمريكيون فقدوا اثر (أدوم صبرى) وزميلته ..

تسعت عينا الملحق العسكري في ذهول ، في حين اقتفض
جسد (شيمون) بمنتهى العنف ، وكأنا أصابته صاعقة ..
ومن أعق أعماقه ، تصاعدت موجة غضب هادرة ..
موجة تكفي لاجتياح العالم كله ..

على الأكل ..

* * *

تحرك المقدم (سمير) في نشاط جم ، داخل محطة مترو
الاتفاق ، في قلب (روما) ، وهو يقول لزميلته (راوية) :
- أسرع أيها الزائد .. سيادة للعيد (أدهم) طلب منا
مقابلته هنا بسرعة .

قالت في انبهار واضح :

- رباه ! لست أصلي أنني سألتقي به شخصياً .. إنني أتبع
ما يقولونه عنه دائماً .. إنه أسطورة بالنسبة لي .
هز رأسه ، قائلاً :

- إنه أسطورة بالنسبة لنا جميعاً .

بلغ معها المكان المتعلق عليه ، فتوقفا ، وتلفتا حولهما
في اهتمام ، و (راوية) تتساءل :

- أين هو ؟

هز (سمير) رأسه مرة أخرى ، متصفاً :

- إنه هنا حتماً .. سيادة العيد (أدهم) دقيق للغاية ، في
مثل هذه الأمور ، ولكن ربما ..

ارتطم به في هذه اللحظة ، أحد مفتشي المترو ، فقل في توتر :
- احترس يا رجل .

رفع المفتش الكهل قبعة الرسمية ، قائلاً :

- معذرة يا سيدي .

ثم أضاف بالعربية ، همناً :

- اتبعاني .

اتسعت عينا المقدم (سمير) في ذهول ، وهو يحرق في
مفتش المترو ، الذي لا يمكن أن يتشابه مع (أدهم) ، إلا أنه
لم يلبث أن سيطر على مشاعره في سرعة ، وهو يتبعه مع
زميلته ، التي همست في الأفعال :

- إنه هو .. أليس كذلك ؟

غمغم (سمير) في اكتضاب :

- بلى .

واصل (أدهم) سيره ، ولما يتبعته ، حتى انحرف فجأة
داخل مخزن صغير ، ولم يكده الاثنان يتبعانه داخله ، حتى
فوجئا بوجود (منى) ، التي غمضت :

- لقد وصلتما في موعدكما .

قالتها ، وشيء من الغيرة يتسلل إلى مشاعرها ، مع نظرة

الانبهار ، التي تتطلع بها (راوية) إلى (أدهم) ، الذي قال
في حزم :

- الأمريكيون استخدموا أعمارهم الصناعية لتعطينا ..
(القاهرة) أبلغتنا بهذا ، بواسطة شفرة الأضواء الملونة
القديمة ، ومن الضروري أن تغلت من مراقبتهم ، حتى
نصل إلى هدفنا .

قال (سمير) في حماسة :

- نحن رهن إشارتك يا سيادة العميد .

ناولته (أدهم) المعطف ، الذي وصل به إلى العكان ، قفلاً :

- سترتدي معطفي هذا ، وزميلتك الرائد (راوية) سترتدي
معطف المقدم (منى) .. لقد تركنا سيارتنا في شارع
(ليوناردو) .. اتجهنا إليها مباشرة ، واستقلناها إلى بناية
مستشار الأمن القومي الإسرائيلي (جون روتشيك) .. أخفيا
وجهيكما بقدر الإمكان ، ولا تنظرا إلى أعلى أبداً ، وعندما
تصلان إلى بناية (روتشيك) ، حاولا بضاعة أكبر وقت ممكن .

سأله (سمير) في اهتمام :

- هل تعتقد أنهم سيتبعوننا ، بدلاً منكما يا سيادة العميد ؟؟

أجابته (أدهم) في حزم :

- إنهم لا يتصورون أننا قد كشفنا استخدامهم لأعمار
لتجسس الأمريكية لمتابعتنا ، وإذا ما أحسنتما القيام بدوركما ،
فسيسير كل شيء على مايرام ، خاصة وأنتي وأنتي من أنهم
لم يرسلوا أي مراقبين أرضيين ، حتى لا يفسدوا العملية
كلها ، إذا ما كشفنا أمرهم .

تبادل (سمير) معطفه مع (أدهم) ، وهو يتساعل :

- وأين ستذهبان أنتما ، يا سيادة العميد ؟؟

أجابته (أدهم) في اقتضاب حارم :

- سنكون قريبين منكما .

ثم سأله ، وهو يرتدي معطفه :

- هل فهمت دورك جيداً ؟؟

أجابته (سمير) في سرعة :

- بالتأكيد يا سيادة العميد .

التفت (أدهم) إلى (راوية) ، وسألها :

- وماذا عنك أيتها الرائد ؟؟

حككت (راوية) فى وجهه بضع لحظات ، بنفس النظرة
المبهورة ، فهتفت بها (منى) فى عصبية :

- هل فهمت دورك أيتها الرائد ؟!

لتكفنت (راوية) ، وكلما تستيقظ من حلم جميل ، وابستمت
لبساسة واسعة ، قلقة :

- بالتأكيد .

ناولتها (منى) معطفها ، قلقة ، فى شيء من العدة :

- ماذا تنتظران إذن ؟!

ارتبكت (راوية) ، وهى تقول :

- سنذهب على الفور .

ظل (أدهم) صامتاً ، حتى انصرف الاثنان ، ثم قال فى
ضيق :

- لقد تعاملت معها بخشونة غير منطقية .

أجابته فى عصبية :

ألم تر كيف كانت تلتهما بنظراتها ؟!

ارتفع حاجباه فى دهشة ، ثم عادا يتخفضان ، قبل أن
يهز رأسه ، قائلاً فى استكبار :

- يا للنساء !

ثم استعاد خزمه فى سرعة ، مضيقاً :

- دعينا نتحرك نحن أيضاً بسرعة ، فكل دقيقة ثمنها .

غفرا محطة مترو الأفق مغا ، واستقلا سيارة مستأجرة ،
وسألته هى ، وهما يتجهان إلى هدفهما :

- هل تعتقد أن هذا سيخذهما ؟!

قال فى القضاة :

- دعينا نعتشم هذا .

لاحت بالصمت بدورها ، وهو ينطلق بالسيارة ، حتى بلغا
بنية تطل على الجانب الشرقى لمبنى (روتشيلد) ، فوقف
(أدهم) سيارته أمامها ، واقتزع قناع الكهل عن وجهه ،
قائلاً فى سخرية :

- يروى لى أن ألعاب ورقى الأخيرة بوجه مخشوف .

غمضت :

- هذا يتطوى على شيء من الخطورة .

قال ، وهو يغادر السيارة :

- لا بأس ببعض الخطورة .. هذا يشدّ الهمم .

لم تحاول مناقشته ، بعد أن أدركت أنه يحمل في أعماقه طاقة هائلة من الغضب ، ومن كراهية الإسرائيليين ، الذي قتلوا زميلهما (عداد) ، وهو قائد الوعي ، دون رحمة أو شفقة ، ولأنه بالقصص التام ، وهي تتبعه إلى المعصد الخلفى للبنية ، الذي حملها إلى سطحها مباشرة ..

وهناك ، وقف (أدهم) تحت ضوء القمر ، يدير عينيه في السطح في اهتمام ، فسألته في اهتمام :

- أنت واثق من أنها هذه البنية بالذات ؟

لجانبها في حزم :

- البقعة التي كان يقف فيها (عداد) (رحمة الله) ، على سطح بناية (روتشيلد) ، تجعلها الهدف الأمثل بالنسبة إليه .

قلها ، ثم توقف بصره عند بقعة بعينها ، ليضيف في ارتياح :

- وهذا هو الدليل .

أدركت عينها إلى حيث يشير ، وخلق قلبها في قوة ، عندما



وهناك . وقف (أدهم) تحت ضوء القمر ، يدير عينيه في السطح في اهتمام .

وقع بصريها علي سهم قصير سميك ، مغروس في أعلى
الجدار ، وقد التفت حول قاعدته قطعة من المطاط التصقت
بها تلك البطاقة ، التي يبحث عنها الجميع ..
بطاقة التصوير الرقمية الصغيرة ..

وفي انبهار ، هتفت (منى) :

- رباه ! إنها هنا بالفعل .. أنت عبقري يا (أدهم) ..
عبقري .

تقدم هو في هدوء نحو الجدار ، ووثب ينتزع السهم
الصغير من أعلاه ، قللاً بإثباته هائلة :

- كان هذا هو التفسير الوحيد ، بعد أن عجز الكل عن
التغور عن البطاقة ، في بداية (روتشيلد) .. لقد أدرجت على
الصور أن (صاد) (رحمة الله) ، أرسلها إلى مكان ما ،
وعندما راجعت الملف ، وعلمت أنه قد استخدم بتدقيق
الأسهم ، للوصول إلى بداية (روتشيلد) ، فقرر التفسير إلى
رأسي مباشرة .

هتفت مبهوراً :

- ياله من تفسير ! كيف لم يرد هذا بيال أحد ؟!

قال ، وهو يمس البطاقة الصغيرة في جيبه :

- ربما كان هذا من حسن حظنا يا عزيزتي .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى برزت الهليكوبتر فجأة ، من
خلف البناية المجاورة ، وما إن رصدت (أدهم) و(منى) ،
حتى تبث من جهاز الاتصال اللاسلكي بها صوت (ثيمون) ،
وهو يهتف في صرامة :

- الآن يا رجل .. السفهما الآن .

ولم يكذب هتافه بكتمل ، حتى ضغط قائد الهليكوبتر زرّاً
صغيراً ، في قمة عصا القيادة ، فاطلق أحد صاروخيهما نحو
الهدف ..

نحو سطح البناية ، التي يقف عليه (أدهم) و(منى) ..
مباشرة .

* * * *



٧ - ضربة مزدوجة ..

« كل شيء ينبغي أن يتغير تماماً .. » ..

نطق مستر (X) العبارة في صرامة ، عبر مجموعة الشاشات ، التي توصله بطاقم نوابه ، في دول العالم المختلفة ، قبل أن يتراجع في مقعده ، ويحمل صوته المعدل إلكترونياً نبرة غضب ، مع استطرادته :

- من الواضح أنه هناك خلل ما ، في نظامنا الأمني .. خلل جعل التسلسل إلى شبكتنا الإلكترونية ممكناً ، على نحو لم يحدث من قبل قط . فعلى الرغم من أنني أستخدم أفضل طاقم فني ، في العالم كله ، من خبراء ومبرمجى أجهزة الكمبيوتر وشبكات الإنترنت ، إلا أننا قد رصدنا تسلسلاً مخيفاً ، عبر جدار النار الأمني لنا* ، والأسوأ أننا قد عجزنا عن تحديد مصدره ، بكل إمكانياتنا المتطورة ، مما يعنى أننا لواجه خصماً شديداً

(*) جدار النار : (Fire Wall) : نظام أمني منظم ، لحماية نظم وشبكات الكمبيوتر بحيث يسمح لمجموعة محدودة من الأجهزة بالعبور ، وتبادل المعلومات ، في حين يمنع كل ما عداها من الاختراق ، في نفس الوقت الذي يسجل فيه هجماتها ، على نحو يتشبه أحياناً ، ويسمح بتبليغها فيما بعد ، وفي الوقت ذاته ، تعتبر جدران النار هي أفضل وسيلة حماية معروفة ، ولها قوة .

القوة والتفوق والادعاء ، والوسيلة الوحيدة للتصدي له ، هي تغيير النظام كله على الفور ، بحيث نفسد خططه كلها .

قال المندوب الروسى فى قلق :

- هذا ليس أمراً سهلاً يا مستر (X) .

أجابه مستر (X) فى صرامة :

... وليس مستحيلاً أيضاً .

قال المندوب الأمريكى متوتراً :

- هذا صحيح يا مستر (X) ، ولكن التغيير المفاجئ

سيربكنا أيضاً ، كما سيربك الخصم .

هز مستر (X) رأسه ، قائلاً :

- ربما يربكنا بعض الوقت ، ولكننا لن نلبث أن نستعيد

قوتنا وقدرتنا ، بعد أن نتجاوز المحنة ، ونتجاوز تلك

المحاولة المحمومة للسيطرة علينا .

سأله المندوب الفرنسى فى عصبية :

- ألم تتوصل إلى طبيعة خصمنا يا مستر (X) ؟!

صمت مستر (X) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- ذهني لا يعمل سوى اسمها ، على الرغم من كل التأكيدات لمصرعها في (باريس) .

قال المندوب الياباني في اهتمام :

- ولقدنا تكلنا من مصرعها بالفعل ، وعلينا أن نستبعدا من دائرة الشك والتساؤل ، حتى يمكننا تحديد أخرى .

قال مستر (X) في توتر :

- لقد راجعت كل معلوماتي ، وكل مالدينا من ملفات ، ولكن كل هذا لم يسفر عن اسم واحد ، يمكن أن يتقبله عقلي .

وعاد يهز رأسه ، متأيقا :

- بالتحصل ، لا توجد أخرى ، تتمتع بكل هذا الذكاء والشر ، وإلا لكانا عرفنا اسمها على الأقل .

تسأل المندوب الروسي :

- ومذا لو أنها ليست خصمتنا الرئيسية ، بل مجرد واجهة لخصم آخر ، تم دفعها إلى خط المواجهة كوسيلة لإرباكنا ، وتوجيه أفكارنا إلى نقطة أخرى بعيدة .

هتف المندوب الأمريكي :

- إنها فكرة جديدة بالدراسة .

تعتقد حاجبا مستر (X) ، وهو يدبر هذا الاحتمال الجديد في ذهنه ..

نعم .. إنه احتمال قوى بالفعل ..

ربما كان هناك خصم آخر ، يختفي وراء تلك التي تتحلل شخصية (لورا) ..

خصم يقود اللعبة كلها بذكائه وخبرته ، واضعاً إياها في المواجهة فحسب ..

وربما هي مجرد محترفة ، تلعب دورها بمهارة ..

محترفة تجيد القتال فحسب ..

وربما كانت فتاة مخبرات سابقة أيضا ..

كل شيء محتمل ..

كل شيء ..

تلتنجح المندوب البريطاني ، مع فترة الصمت الطويلة ، وقال في هدوء عجيب :

- إنني أميل إلى هذا الاحتمال .

انتزعت العبارة مستر (X) من صمته ، ليسأله فى
حزم :

- ومن نلتزح ، فى هذه الحالة ؟

صمت المندوب البريظقى بضع لحظات ، وكأما يدرس
الأمر فى ذهنه ، قبل أن يقول فى بطم :

- هذا يحتاج إلى تفكير عميق ، و..

قبل أن يتم عبارته اضطرب الاتصال فجأة ، وتدخلت معه
موجة غريبة ، جعلت مستر (X) يعقد حاجبيه فى شدة ،
قائلاً فى توتر :

- ماذا يحدث بالضبط ؟

لم تكتمل عبارته ، حتى ظهرت صورة (لورا كيلرمان)
على شاشته ، وهى تبسم ابتسامة ساخرة ، وتلفت لجان
سيجارتها فى عمق ، قبل أن تقول :

- معذرة يا عزيزى (X) .. لن يمكنك أن تواصل حديثك
مع قادة منظمتك ، فكل الشاشات تحمل الآن صورتي .

ثم مالت نحو الشاشة ، مضيفة :

- وأوامري .

ومع قولها ، انطلقت صفارة الإنذار الكبرى فى المكان ..
وانتفض جسده فى عنف ..

فقد كان هذا يعنى أن مقره السرى الخاص ، يتعرض
لهجوم عنيف ..

هجوم قد ينتهى بسقوطه ، وسقوط منظمته كلها فى قبضتها ..
أو فى قبضة من يختفى خلفها ..

أيا كان ..

* * *

لم تكذ تلك الهليكوبتر المقاتلة تظهر ، فى سماء المكان ،
حتى أثبت (أدهم صبرى) مرة أخرى ، أنه يتمتع بسرعة
استجابة مذهلة ، يندر أن يمتلكها أى بشرى آخر ..

فى سرعة مذهلة ، جذب يد (منى) ، وانطلق يعدو
معهما نحو باب السطح ، صائحاً فى حزم :

- لقد كشفوا أمرنا .. سننتقل فوراً إلى الخطة (ب) .

دفعها خارج السطح ، فى نفس اللحظة التى أطلقت فيها
الهليكوبتر صاروخها الأول ، و...

ودوى الانفجار ..

دوى على مسافة خمسة أمتار منه ، ليسف جزءاً من
سطح المبنى ، ويطلق موجة تضاغطية قوية ، دقعه صبر
الباب ليتدحرج على السلم الذى يقود إلى المصعد فى
عنف ..

وصرخت (منى) مع ما أصابه :

- يا إلهى ! (أدهم) .

فوجدت به شب وقلقاً على قدميه ، والدماء تنزف من جرح
فى جبهته ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- لا تتلفتى خلفك أيتها المقدم .. انتقلى فوراً إلى الخطة
(ب) .. الخريطة التى أعطيتك إياها ستقودك إلى الهدف ،
بينما أبعد أنا أنظرهم عنك .

هتفت :

- ولكن ..

صاح بها ، قبل أن تتم عبارتها :

- نفذى الأوامر أيتها المقدم .

كانت تدرك تماماً ما عليها أن تفعله ، عندما يتحدث معها
بهذا الأسلوب الرسمى الصارم ..

عليها أن تنفذ الأوامر ، دون عواطف ، أو مشاعر ، أو لى
مناقشة ..

هذا لأن لهجته هذه نعتى دوماً أن (مصر) تتأدى ..

وأن كل غال يرخس ، من أجل تلبية النداء ..

نداء الوطن ..

أما هو ، فقد استدار خلفه ، وشاهد الهليكوبتر تنخفض
إلى مستوى السطح ، وبلغ مسامعه هتاف (شيمون) ،
الذى يصرخ عبر جهاز الاتصال اللاسلكى بها :

- ماذا تنتظر يا رجل ؟! أطلق صاروخك الثانى .. اتسلف
المبنى كله لو اقتضى الأمر .. المهم ألا يفلت بالبطاقة ..
هل تفهم ؟! أطلق صاروخك الثانى .

ولم يتردد (أدهم) لثانية واحدة ..

أو حتى لجزء من الثانية ..

فلو أطلقت الهليكوبتر صاروخها الثانى ، من هذا
الارتفاع ، وهذه الزاوية ، سينسف المكان كله حتماً ..

بكل ما فيه ..

ومن فيه ..

وهذا بضئ ضياع بطاقة الرقمية ، بكل ما تحمله من صور
الوثائق الإسرائيلية السرية ، التي تثبت تورط الصهيونية ،
في تفجير برج التجارة العالمي في (نيويورك) ، في
الحادي عشر من سبتمبر ، عام ألفين وواحد ..

وسيعنى أيضًا مصرعه ..

ومصرع (منى) ..

زميلته وحبيبته (منى) ..

كل هذه الأفكار مرقت في ذهنه كالبرق ، وهو يندفع
كالصاروخ ، نحو الهليكوبتر الإسرائيلية ، التي تحلق على
ارتفاع ثلاثة أمتار فحسب ، من سطح المبنى ..

وفي نفس اللحظة ، التي هم فيها إيهام قائد الهليكوبتر
بضغط زر إطلاق الصاروخ لثاني ، فوجئ بـ (أدوم) ينقض
عليه ، ويثب نحو الهليكوبتر كالليث ، فهتف ذاهلاً :

- مستحيل !

ومع هتفه ، تعق (أدوم) فجأة بجانب هليكوبتر ، فاختل
توازنها مع الثقل المفاجئ ، ومالت على نحو مخيف ، في
نفس اللحظة التي ضغط فيها قائد الهليكوبتر زر الإطلاق ..

وانطلق الصاروخ الثاني ..

انطلق مع ميل الهليكوبتر ، فتجاوز هدفه بعشرين
كاملين ، كما يكفيان لتجاوز الصاروخ حاجز السطح ،
وينطلق مبتعداً لعشرات الأمتار ، قبل أن ينفجر في سماء
(روما) ، في نفس اللحظة التي ارتطمت فيها مروحة
الهليكوبتر بمبنى صغير على السطح ، وتحطمت أطرافها في
عنف ..

وبحركة سريعة ، وثب (أدوم) داخل الهليكوبتر ، ولكم
قائدتها بكل قوته ، وهو يقول :

- نهاية الرحلة أيها الوغد ..

ارتجّ جسد الطيار بمنتهى العنف ، ومنعه حزام المقعد
من السقوط ، على عكس طائرته ، التي ارتطمت بالسطح ،
وتحطمت زجاجها الجانبى بقوة ، ومروحتها ترتطم بالأرض ،
وتتطاير على نحو مخيف ، في كل اتجاه ..

كان موقفاً رهيباً بحق ، ولا يمكن أن يتخيله إنسان عاوى ..

هليكوبتر تتحطم على سطح مبنى عاوى ، في قلب
عاصمة أوروبية عريقة ..

ومن حسن الحظ أن ارتفاعها القليل قد منع انفجارها ،
فاستقرت على جانبها ، في مشهد رهيب مخيف ..

ويعتقن الخفة والنشاط ، وعلى الرغم من إصابته ،
وثب (أدهم) خارج الهليكوبتر ، وهو يقول فى حزم :

- من الواضح أن هؤلاء الإسرائيليين الأوغاد ، قد قرروا
تجاوز كل الحدود ، وكأنما صار العالم ملكاً لهم .

أتاه صوت صارم قاس ، يقول :

- لن يمضى وقت طويل ، حتى يصبح ملكاً لنا بالفعل
ياسيد (أدهم) .

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت فى سرعة ، فارتطم
بصره بفوجات ثلاثة مدافع آلية مصوبة إليه ، وخلفها
(شيمون دوريل) ، والعلحق العسكرى الإسرائيلى
(موسى) ..

وعلى الرغم من المفاجأة ، ومن دقة الموقف ، عقد
(أدهم) ساعديه أمام صدره فى سخرية ، قائلاً :

- إذن فخذعتا لم تتطّل عليك أيها الوغد .

مطّ (شيمون) شفّتيه ، قائلاً :

- مطلقاً .. لست أرى كيف أكرمت لنا نراقبك ، وأعترف
أن زميلك قد أتقا دورهما ، إلى حد يكفى لخداع أى مراقب ،
إلا أننى كنت أراقب أيضاً أسطح النهايات ، فى المنطقة

كلها ، لتلقى بك ستأتى إلى مكان قريب من بداية (روتشيد)
حتمًا .

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- كان ينبغي أن أتوقع هذا .

التقط (شيمون) نفساً عميقاً ، وقال فى ظفر مزهو :

- لكل جواد كبرة ياسيد (أدهم) .

ضاعت عينا (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

- أنت إذن جواد مشاغب أيها الوغد ، فقد بلغت كبواتك
حدًا ، يكفى لتعطيم عنقك الفذر ، دون هودة أو رحمة .

اعتقد حاجبا (شيمون) فى غضب ، وهو يقول :

- المهم أن تبلغ عنقى أولاً أيها المتحدلق .

أجابه (أدهم) ، فى صرامة قاسية :

- لو بلغت عنقك ، ستمنى لو أنك لم تولد أبداً أيها الوغد ؛
فقد قتلت زميلى وهو فائق الوعى ، ولا حول له ولا قوة ،
ولقد أقسمت أن أجعلك تنقع الثمن .

قال (شيمون) فى حدة :

- كان من المستحيل أن أسبح لكم باستعدائه ..

أجابه (أدهم) :

- ومن المستحيل أيضاً أن تفلت بقلبك القذرة هذه ، أيها
الوغد الحثير .

هتف الملحق العسكرو في غضب :

- أدون (دوريل) .. لماذا تسمح له بالتبجح على هذا
النحو ؟ إنه في قبضتنا ، وينبغي أن نتخلص منه على
الفر ، دون أن نمنحه فرصة للتفكير والتدبير .

قال (شيمون) في خشونة :

- هناك أمر ينبغي أن نتجازه أولاً .

ثم تطلع إلى (أدهم) بمنتهى الحدة والصرامة ، مستطرداً :

- أين بطاقة التصوير الرقمية ياسيد (أدهم) ؟

استعاد (أدهم) لهجته الساخرة . وهو يقول :

- هل تتصور أنني سأملك إيها بهذه البساطة ؟

أجابه (شيمون) في غلظة :

- إنني سأحصل عليها في كل الأحوال ياسيد (أدهم) ..

إما أن نمنحنى إيها ، أو أستخلصها من جيبك .

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، قائلاً :

- وهل ستطعن عندئذ إلى فك قد حصلت عليها بالفعل ؟

ماذا لو أصابتها واحدة من رصاصاتكم ، ونسفتها نسفاً ،
فلا يمكنك أن تعلم ما إذا كانت هي البطاقة المنشودة ، أم أنها
بطاقة خالية ، أحفظ بها للتصوير .

ابتسم (شيمون) في سخرية ، وهو يقول :

- إن يمكنك استدراجي إلى تلك الخدعة المعقدة ياسيد
(أدهم) .. لو أرسلت أحد رجالنا لتفتيشك ، ستأخذ منه
دفعاً ، لتواجه رصاصاتنا ، وتتجو من هذا الموقف .

ثم عقد ساعديه أمام صدره بدور ، مع استطراده
الحازم :

- كلاً أيها الذكي .. سأخطر بإطلاق النار عليك ، وسأفترض
أن البطاقة ، التي ستعثر عليها معك ، سليمة أو معطوبة ،
هي البطاقة المنشودة .

قال (أدهم) في سخرية :

- المشكلة أنه سيكون عليك بعدها أن تعدو هارباً ، فمن
المؤكد أن جيشاً من رجال الشرطة الإيطالية سيحيط بالمنطقة

كلها الآن ، بعد أن نسفت طائرتكم المحطمة هذه جزءاً من
سطح قمبي ، دون أن تبقى بقواتين ، أو قواعد ديبلوماسية ،
أو أية أعراف دولية .

قال (شيمون) في صرامة :

- كل هذه مجرد أمور شكلية ، يغضب لها المستولون
والسياسيون ، وربما رجال الأمن أيضاً لبعض الوقت ، ثم
لا تثبت أن تكون وتنتهي ، مهما كانت الاحتجاجات الرسمية
أو الشعبية . . . المهم أن نحقق هدفنا ، ثم نترك للزمن بعدها
إصلاح كل شيء ..

قلب (آدم) شفته ، قاتلاً في الزمراء :

- منطق استعماري متطوّر حقير .

مع نهاية كلماته ، أطلق هاتفه المحمول رنيناً مميّزاً ،
يعنى استقباله ل واحدة من الرسائل الهاتفية القصيرة ، فقال
(شيمون) في سرورية :

- من المؤسف أنك لن تقرأ هذه الرسالة أبداً يا سيد
(آدم) ..

قالها ، ولتسل بيده ، فجذب رجال أمنه الثلاثة إلى مدافعهم
الآلية ، في حين استل الملاحق العسكري مسدسه ، قاتلاً في
حماسة وحشية :

- حانت نهايتك يا سيد (آدم) .

رفع (آدم) يده في تلك اللحظة ، قاتلاً في سرورية :

- أين تحصلوا على البطاقة أولاً .

اتخذ حاجبا (شيمون) ، وضاعت عيناه ، وهو يحدّق في
البطاقة للرقمية الصغيرة ، بين سبّابة (آدم) ووسطاه ،
وقال في حذر وشك :

- هل ستحلحنا إياها بهذه البساطة ؟

عاد (آدم) يهزّ كتفيه في لامبالاة ، قاتلاً :

- لست أظنها بهذه القيمة الآن .

ثم قذفها نحوهم فجأة ، مستطرداً :

- ها هي ذي .

قذفها عائياً ، بحركة مباغتة سريعة ..

وكرر فعل غريزي ، تبعثها بأصابعه ، في اهتمام بالغ ..

وارتفعت صيوتهم عن (آدم) لثانية واحدة ..

أو أقل من هذا ..

وكان هذا يكفي ..

تملأ ..

فقبل حتى أن تبلغ البطاقة أقصى ارتفاعها ، كان هو قد
انقض كالصاعقة ..

لم يدرك أحدهم كيف ، أو متى قطع تلك الأمطار الأربعة ،
التي تفصله عنهم ، إلا أنهم وجدوه فجأة بينهم ، قبل أن
ينفجر في وجوههم وأجسادهم كالقنبلة ..

فللغضب الهائل ، الذي تفجر في كيانه كله ، منذ مقتل
زميله (عماد) ، كان ييث فيه طاقة هائلة ، ضاعفت من
قوته وقدراته المدهشة مرتين على الأقل ..

وفي لحظة واحدة تقريباً ، حطم ألف أحد رجال الأمن
الثلاثة ، وأسنان الناس ، وغاصت قبضته في معدة الثالث ..

وقبل أن يستوعب الملحق العسكري ما حدث ، فوجئ بـ (أدهم)
بمك معصمه ، ويعد فوهة مسدسه ، قائلاً في صرامة :

- لماذا لم تطلق النار ؟

كانت أصابع (أدهم) أشبه بثلثية من الفولاذ ، وهي
تختصر معصمه ، وكانت عيناه تخرقان بصره مباشرة ،
بنظرة صارمة غاضبة مخيفة ..

ولكن الرجل لم يكن لديه وقت ليخاف ..

أو حتى ليطلق صرخة ألم واحدة ..

فقبل حتى أن يكمل (أدهم) عبارته ، كانت قبضته تنفجر
في فمه ، ثم تتراجع بسرعة مذهلة ، لتتهوى على أنفه
كالصاعقة ..

وحده (شيمون) وجد لحظة للتفكير ..

وإيمراك ، ماهية الأمر ..

ولأنه أكثرهم خبرة واحترافاً ، فقد كانت هذه اللحظة
تكفيه ..

وبكل إرادته وقوته ، وثب (شيمون) ..

وثب نحو البطاقة الرقمية ، التي سقطت أرضاً ، والنقطة
صارخاً :

- لقد ظفرت بها .

وعلى الرغم من أن (أدهم) قد سمع صرخته ، إلا أنه لم
يلفت إليه لحظة واحدة .. بل ولم يبال بقوله على الإطلاق ..

لقد واصل عمله ، ووضع لمساته الأخيرة ، حتى سقط
الملحق العسكري الإسرائيلي ، ورجال أمنه الأربعة الهادئ
الوعى ..

وعندما التفت إلى (شيمون) ، كانت أصوات أبواق
سيارات الشرطة تدوي في المنطقة ..

وكان (شيمون) يمسك البطاقة للرقمية الأصلية في
يده ، هاتفاً :

- خسرتم أيها المصريون .

فاتها ، ثم ألقى البطاقة أرضاً ، و ..

ومسحها بقدمه تماماً ..

وعلى الرغم من الفضاضة (أدهم) عليه ، شعر (شيمون)
أنه قد انتصر ، في هذه العملية ..

انتصر انتصاراً ساحقاً .

* * *



٨ - الختام ..

بدا الأسى على وجه مدير المخابرات العامة المصرية ،
وهو يتابع الأنباء الواردة ، من كافة أنحاء العالم ، في تلك
المرحلة الحساسة ، من حياة الأمة العربية كلها ، وهز رأسه
في أسف ، قائلاً لمساعد :

- الأمريكيون انحازوا للإسرائيليين على طول الخط ،
ويتعتلون في نفس الوقت مع العراقيين ، أكثر مما ينبغي .

وزفر في مرارة ، قبل أن يضيف :

- أصبحوا وكأنهم يرون يديون إسرائيلية ، ويسمعون
بأذن إسرائيلية ، ويفكرون حتى يقول إسرائيلية .

وافقته مساعده بإعادة أسفه من رأسه ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنهم سيشنون الحرب على (العراق) ، حتى
لو استجاب لثل مطالبهم .

مط المدير شفتيه ، قائلاً :

- الأمريكيون والبريطانيون يسعون لإعادة العهد

الاستعمارية ، في الوقت الذي تصوّر العالم فيه أن التطوّر
الإنساني الطبيعي ، قد تجاوز هذه المظاهر .. بل إنهما
يتجاهلان حتى الأصوات المعارضة في دولتيهما ، والتي
تصرخ في كل دقيقة ، مطالبة بعدم شن حرب ، لا يوجد
ما يحتم اندلاعها .. العالم كله صار يقف في جانب ،
(أمريكا) و (بريطانيا) في جانب آخر ، ولكن هذا
لا يوقظهما ، أو يمنعهما من المضي قدماً ، في خطتهما
الاستعمارية الرهيبة .

تابع المساعد بدوره الأحداث التي تتوالى على الشاشة ،
قبل أن يقول :

- الواقع أن (إسرائيل) هي المستفيد الأول من كل هذا ،
فمع وجود القوات الأمريكية والبريطانية في المنطقة ،
ستقفز هي بخططها الوحشية إلى الذروة ، وستحاول تصفية
كل حساباتها ، والتخلص من كل خصومها دفعة واحدة ..
إنها الفرصة الذهبية بالنسبة لها .

تهنّد المدير ، قائلاً :

- للأسف .

ثم اعتدل في مقعده ، واستعدّ حزمه المعتد ، وهو يقول :

- هل من أخبار جديدة ، بشأن عملية (روما) ؟

لجابه مساعده في سرعة :

- آخر ما بلغنا هو أنه هناك قتال عنيف ، يدور على
سطح المبنى المواجه لثيابة (جون روتشيلد) ، مستشار
الأمن القومي الإسرائيلي في (روما) ، بعد أن أطلقت
هليكوبتر مقاتلة ، صاروخاً على سطح المبنى ، وآخر الفجر
في سماء (روما) .

قال المدير في اهتمام قلبي :

- هليكوبتر مقاتلة ، وصاروخان في قلب (روما) ؟! يا إلهي !
لقد تجاوز الإسرائيليون كل الحدود هذه المرة بحق .

أشار المساعد بيده ، قائلاً :

- من الواضح أنهم مستعدون لبلوغ أقصى مدى ممكن
هذه المرة ، مهما كان الثمن ، فالوئثق التي كشفنا أمرها ،
قد تقلب الموازين كلها رأساً على عقب .

تراجع المدير في مقعده ، وهو يقول في اهتمام :

- (ن - ١) ذكر ، في برقيته الشفوية الأخيرة ، أنه
لوفشت الخطة الرئيسية ، فسيلاً إلى ما أسماه بالخطة (ب) ..
هل أشار إلى أية تفاصيل ، خاصة بتلك الخطة (ب) ؟

هزأ المساعد رأسه نفيرا ، قائلا :

- مطلقا .. إنه شديد الحرص هذه المرة ، ولا يفصح عما يدور في عقله أبدا ، خشية أن يتكشف الأمر ، على نحو أو آخر .
تساعل المدير :

- وماذا عن الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلي على مكتبه ، وارتفع منه صوت يقول في لهجة ، تشف عن أهمية الأمر :

- بريقية عاجلة من (روما) ياسيدى .

ضغط المدير زر الاتصال ، قائلا بسرعة :

- أحضرها على الفور يا رجل .

لم تمض دقائق على قوله ، حتى كانت البريقة بين أصابعه ، يقرؤها في اهتمام شديد ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى !

استدار مساعده ليلقى نظرة على كلمات البريقة القليلة ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ..

فالبريقة كانت تحمل بالفعل مفاجأة ..

مفاجأة مدعشة ..

للغاية ..

انطلقت ضحكات (شيمون) عالية مجلجلة ، بعد أن خطم بطاقة الصور الرقمية بقدمه ، واسترجت ضحكاته بأبواق سيارات الشرطة الإيطالية ، التي توقفت عند مدخل البناية ، قبل أن يكتم (أدهم) تلك للضحكات بلكمة قوية ، في فك الإسرائيلي مباشرة ، وهو يقول في صرامة :

- لقد أقمعت أن تدفع الثمن أيها الوغد .

كانت اللكمة من القوة ، حتى إن جسد (شيمون) تراجع عدة أمتار إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بحاجز السطح ، ثم يعثل صائحا :

- لقد ربحت المعركة يا (أدهم) .. ربحتها .

وثب (أدهم) ، ليتركه في صدره ركلة قوية ، دفعته إلى الخلف أكثر ، ليتجاوز جسده حاجز السطح ، ويهوى ..
ومن حلقه ، انطلقت صرخة رعب هائلة ، وجسده يسقط من حلق ، و ..

وفجأة ، أمسكت أصابع قوية معصده ، تمنعه من السقوط ..
وبكل دهشة الدنيا ، ومع جسده المعلق في الهواء ،
رفع (شيمون) عينيه إلى (آدم) ، هاتفاً :
- أنت ؟

تطلع إليه (آدم) بعينين صارمتين ، ضلوع بدمشة أكبر :
- أنت ؟ أنت أنقذتني ؟ أنت ؟

لم يجب (آدم) تساؤله ، وهو يرمقه بنظرة مقت
رهيبة ، ارتجف لها جسده لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد
سيطرته على مشاعره ، على الرغم من موقفه ، فاطلقت
من حلقه فجأة ضحكة عالية ، وهو يهتف :

- هذه لحظة ضعلكم أيها العرب .. هذه الشهامة السخيفة
المضحكة .. كان ينبغي أن تتركني أسقط يا (آدم) .. على
الأقل ساقضي نحبي ، وأنا أحمل لقب الرجل الذي هزم
(آدم صبرى) بحق .

أجابته (آدم) هذه المرة ، في برود مخيف :

- هذا بالضبط هو السبب ، الذي دفعني لمنحك من السقوط
أيها اللوط .. قل لي : كم تبقى لحظة واحدة ، إلى أن زميلتي
قد اختفت ، منذ وصولكم ؟! كم تسأل نفسك أين ذهبت بالضبط ؟!



وبكل دهشة الدنيا ، ومع جسده المعلق في الهواء ، رفع
(شيمون) عينيه إلى (آدم) ، هاتفاً : - أنت ؟

هتف (شيمون) : وجسده مازال يتدلى فى الهواء . من ارتفاع عشرين طابقاً :

- لقد فُرت بحياتها حتماً .

أجابه (أدهم) بنفس البرود :

- خطأ أيها الحقير .. زميلتى أطلقت ، فور هجوم طائرتكم ، لتفجير ما أطلقنا عليه اسم الخطة (ب) .

ردّد (شيمون) : وهو يحاول التثبت بأى شيء ، بخلاف يد (أدهم) :

- الخطة (ب) .

أجابه (أدهم) :

- نعم أيها الوغد .. الخطة (ب) .. الخطة التى تعتمد على التحرك فى الاتجاه ، الذى لم يخطر ببالكم قط .

خيل لـ (شيمون) أن (أدهم) قد ملأ تحوه ، وهو يتابع فى صرامة :

- فبينما انشغل الكل بمتابعة هجومكم ، وكل ما أترتموه من ضجة وضوضاء ولعل ، وفى الوقت الذى كنت تتبجح فيه بالتصارك علينا هنا ، لغدت هى وأحد زملائنا ، من مكتب

(روما) ، هجومنا ناجحاً ، على شقة مستشار أمنكم القومى هنا .

استقع وجه (شيمون) : وهو يحدق فى عيني (أدهم) مباشرة ، قبل أن يقول فى عصبية :

- لا تحاول خداعى .

هزّ (أدهم) رأسه نفياً فى بطل ، وقال :

- لست أخدعك أيها القذر .. لقد نفذنا الخطة (ب) بالفعل .

تسعت عينا (شيمون) فى ذهول مرتاع ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، قبل أن يهزّ رأسه ، ويهتف فى عصبية :

- مستحيل ! لا يمكنك أن تعلم أن الخطة قد نجحت .. إنك لم تقدر المكان بعد هجوم الهليكوبتر .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة صارمة ، وهو يقول :

- خطأ مرة أخرى يا أحمق الحقراء .. هل تذكر تلك الرسالة الهاتفية القصيرة ، التى تلقيتها ، وأنتم تصوبون أسلحتكم إلى ؟! إنها إشارة متفق عليها ، وهاتفى مجهز بحيث لا يلتقى سواها ..

ثم التقط هاتفه المحمول بيده الأخرى ، وضغط أزراره ،
دون أن يتطلع إلى شاشته ، متابعاً :

- إبنى حتى لست بحاجة إلى قراءتها .

قلها ، ثم وضع الهاتف أمام وجهه (شيمون) ، الذى اتسعت
عيناه فى ارتياح ، وهو يحدث فى الشاشة المضئية ، التى
حملت رسالة مختصرة للغاية ..

« نجحت الخطة (ب) ، واستعدنا الوثائق الأصلية » ..

انتفض جسد (شيمون) ، وهو يهتف :

« لا .. مستحيل ! مستحيل !

أعاد (أدهم) الهاتف إلى جيبه ، قائلاً :

- أرايت أيها الوغد ؟ لقد أقيمت لكم البطاقة ، لكننا لم
نعد بحاجة إليها ، فقد حصلنا على الوثائق الأصلية .

وقسا صوته ، وهو يتابع :

- إنك لم تتقصّر ، ولم تزيح هذه العملية .

كاد (شيمون) يبكى ، من فرط القهر والحرارة ، وضاعفت
الهزيمة من شعوره بأنه مغلق فى الهواء ، ولا يمنعه من

السقوط سوى أصابع (أدهم) وحدها .. فتهتف فى صراعة
مذعورة :

- الرحمة .

أجابه (أدهم) فى صرامة شديدة :

- إنك لم ترحم زميلنا (عماد) ، عندما كان لفاقداً نوعيه ،
فى سفارتكم الحقيرة .

هتف (شيمون) ، فى صراعة أكثر :

- الرحمة .

هزّ (أدهم) رأسه نفياً فى بطنه ، وهو يقول :

- من لا يرحم لا يرحم .

قالها ، ثم أفلت أصابعه دفعة واحدة ، فانطلقت من حلق
(شيمون) صرخة رعب هائلة ، تواصلت بلا انقطاع ،
وجسده يهوى ، ويهوى ، من ارتفاع عشرين طابقاً ..

حتى ارتطم جسده بالأرض ، بمنتهى الغف ، وسط سيارات
الشرطة ، وصرخت الجماهير ، التى احششت حول المكان ..

وفى سيارته ، على مقربة من مكان ، هتف الولد (ممدوح) :

- يا للبشاعة ! لقد تحطّم جسده تماماً .

التقطت (منى) نفسها عميقاً ، قائلة :

- كان يستحق هذا .

غمغم :

- بالتأكيد .

ثم تلفت حوله ، متسائلاً :

- الموقف لا يبحث على الارتياح ، فالشرطة الإيطالية تحاصر المكان كله ، وسيادة العميد (أدغم) مازال داخل العيني .

قالت فى حزم :

- لا تقلق بشأنه .

ولكنه واصل فى توتر :

- هذه البناية لها مدخل واحد ، والشرطة تـ ..

قاطعته فى حزم صارم :

- لا تقلق .. العميد (أدغم) يعرف كيف يغير شلونه .

كانت تبذل جهداً خرافياً فى أصافها ، لكنكم ذلك فلقى العارم ، الذى تموج به نفسها ، وهى تجلس داخل تلك السيارة الإيطالية الصغيرة . وكل ذرة فى كيانها تدعو الله (سبحانه وتعالى) أن يساعد (أدغم) . و ...

وفجأة ، وبعد فترة لم تدر مداها بالضبط ، فتح (أدغم) باب السيارة الخلفى ، ودلف إلى جوارها ، قائلاً :

- هيا بنا .. لم أعد أحتفل البقاء فى هذا المكان .

تهللت أسارير (ممدوح) ، وهو ينطلق بالسيارة ، قائلاً :

- أوامرك يا سيادة العميد .

أما هى ، فقد رقص قلبها فرحاً ، وهى تضغط يده فى حنان وسعادة ، مغممة :

- حمدًا لله على سلامتكم .

منحها ابتسامة صامتة ، فسألته فى اهتمام :

- بم تشعر الآن ؟

التقطت نفسها عميقاً ، وأسبل جفنيه ، مجيباً فى خفوت :

- بالارتياح .

ضغطت يده مرة أخرى ، فى سعادة بلا حدود ، فى حين

سأل هو (ممدوح) ، دون أن يفتح جفنيه :

- أين الوثائق الإسرائيلية الآن ؟

أجابه (مدوح) على الفور :

- لقد بدأت رحلتها ، التي حددتها لها ياسيادة العميد ،
وأحد رجالنا غير المعروفين ، سيحملها في حقيبة أوراقه
الخاصة إلى (اليونان) ، حيث سيتمسلمها مكتبنا هناك ،
ليرسلها إلى (القاهرة) مباشرة ، وسيادة المقدم (سعيد)
يصنع منها عدة نسخ الآن ؛ لحفظها في الكمبيوتر ، وغير
شبكة الإنترنت ، بحيث لا يمكن أن نفقدها مرة ثانية أبداً .

عسقم (أدهم) في ارتياح حقيقى :

- عظيم .

سألته (منى) فى اهتمام :

- هل تعتقد أن هذا سيفلح ؟! هل ستنتج هذه الوثائق
فى قلب الأوضاع بالفعل ؟!

صمت طويلاً ، قبل أن يجيب فى حزم :

- لن يمكننا الجزم أبداً .. لقد قمنا بعملنا ، ولدينا واجبنا ،
ونجحنا فى مهمتنا ، وهذا كل ما يخصصنا فى هذا الشأن .

تلفتت ، متممة :

- بالتأكيد .

قالتها ، وضغطت يده مرة أخرى ، لتبشّه جيبها
وخالتها ، ولتساعده على الاسترخاء داخل السيارة ، التى
انطلقت بهم مبتعدة عن المكان ، ومخرقة ذلك الإحجام
الشديد ؛ لتعبر فوضى البشر ..

وفوضى الحياة .

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب وأخيرة بالأحداث المثيرة

145

الشمس على سبيل
وميلادها بالوقت الأسرع
في سماء النيل العذبة والعند

مطابع
الطبعة الأولى ١٩٨٥

الورقة الأخيرة

- هل ستتجرح خدشة الأسرانييليين .
ويخبرهم رجل المخابرات المصري بسرد
الخطر ١٩
- كيف يمكن أن يواجهه (أدهم صبرى) كل
ذلك الخطر . على قلب (روما) ١٩
- ترى من يربح هذه المعركة الرهيبة . ومن
يقوّز (الورقة الأخيرة) ١٩
- اقرأ التفاصيل المثيرة . وقاتل بعقلك
وكيفك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم (المازق)

